روايات

ياسمين

التوأمتان

ترجمتها وأعدتها:

س. شرارة

www.elromancia.com

مرمورية

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

روايات

ياسمين

مختارات روائية
من البيئة العربية
والأدب العالمي

- تحفل بأروع العاطفة والمشاعر النبيلة.
- تعرض بعمق وفي أسلوب الواقع.
- تحمل همسات إنسانية ولمسات جذابة.
- تعرض للتجارب الآخرين بأسلوب ممتع ومشوق.

كان التشابه بين الأختين قوياً إلى درجة يصعب معها على كثيرين التفريق بينهما ولكن «سيلفستر» بما كان يعمر قلبه من عاطفة اخترق حاجز التشابه وتمكن من التعرف على المرأة التي أحب.

لقد كانت «باندورا» مرغمة على التخفي باسم أختها «سيلين»، وقد طلبت الأخيرة أن تحل محلها للقيام بمهمة شخصية. وكان أن تعرف «سيلفستر» في أثناء ذلك على «باندورا» التي ادعت اسم توأمتها. ونشأت بين الاثنين علاقة حب جارف. ولكن بعد انتهاء المهمة كان على «باندورا» ترك كل شيء والعودة إلى قريتها النائية بعيداً عن المكان الذي ينبغي أن تكون فيه أختها، والذي كان محطة حبها الأول والوحيد.

ماذا حدث عندما التقى سيلفستر «سيلين»... وكيف اكتشف أنها ليست «باندورا»... وهل سيكون لقاء بين الحبيبين ويجتمعان مرة أخرى.

دار الآفاق الجديدة

وضعت باندیا اکلیل الورد الذي صنعته بنفسها فوق القبر وهي تنظر إلى الزهور التي وضعت ليلة امس والتي قتلها صقيع شهر ديسمبر القارس. كان هناك اكليلان من الأقحوان احدهما أبيض وضعه قس القرية والاخر أحمر وضعه الطبيب الذي أشرف على معالجة والدها أثناء مرضه، بالإضافة إلى بعض الباقات من الورد التي أتى بها أهالي القرية.

وفكرت باندیا في نفسها.. إن هذه الزهور هي أقل ما يمكن تقديمه إلى والدها الذي أثار لدى كل الأشخاص الذين تعرفوا إليه عن كثب كثيراً من الاحترام والإعجاب. فقليلون هم الذين كانوا يقدرون بالقدر الكافي علماء اللغة اليونانية الذين تفوق قوة إدراكهم إدراك الأشخاص العاديين المعاصرين.

فقد كانت باندیا تحترم والدها وتحبه بشغف. لم تلم يوماً والدتها

التي تجرأت وتركت أهلها لتهرب مع والدها الذي كانت تحب لتعيش معه حتى آخر رمق من حياتها.

فقد عاش والدا باندیا حياة سعيدة وهانئة للغاية، كان ذلك بالنسبة اليها أكبر عزاء. وها هو والدها يلتحق بوالدتها فيجمعهما الموت إلى الأبد هذه المرة.

وشعرت بنوع من الوحدة وهي تغادر المقبرة بخطى بطيئة لتتجه نحو منزلها الصغير الواقع في آخر القرية. فقد كانت باندیا تحب هذا المنزل الذي عاشت فيه سعيدة إلى جانب والديها اللذين غمراها بالحب والحنان. ها هي تعود وحيدة إلى البيت منقبضة القلب فلن تشعر بمثل هذه السعادة بعد اليوم.

كم كانت الحياة حلوة وهانئة إلى جانبهما ! وتوقعت باندیا سماع ضحكات والديها وهي تدفع باب حديقة منزلها وتخيلتهما في الغرفة الصغيرة التي كان والدها يطلق عليها اسم «المكتب» وتخيلت أيضاً توأمتها سلين وهي تدخل إلى الصالة...

وحاولت الفتاة إبعاد هذه الصور عن مخيلتها وشعرت بالحزن والكآبة يعتصران قلبها. كانت تأمل أن تحضر أختها التوأمة مراسيم دفن والدها، فخاب ظنها ولم تظهر شقيقتها بين الأشخاص القلائل الذين جاءوا لتوديع والدها للمرة الأخيرة.

نزعت معطفها وتوجهت نحو الغرفة الصغيرة لتنعم بقليل من

الدفء. فقد كانت تتوقع أن تشعل ناني المربية الموقد اثناء غيابها.

كانت ألسنة النار تتراقص في الموقد. ونظرت الفتاة إلى المقعد الذي اعتاد والدها أن يجلس عليه، وتخيلته جالساً في مكانه فامتلأت عيناها بالدموع وابتدت مرة أخرى هذه الصورة عن مخيلتها وقررت في قرارة نفسها أن تعتاد على حياتها الجديدة مهما كلف ذلك.

جلست أمام الموقد بعض الوقت، شاردة الأفكار مهمومة القلب، وقررت فجأة ان تنسخ بخطها الجميل الترجمات الأخيرة للنصوص اليونانية التي كتبها والدها قبل مرضه. وأحست بالارتياح لهذه الفكرة. وتمنت أن يقبل الناشر طبعها كالمخطوطات الأولى فهي بأمسّ الحاجة إلى المبلغ القليل من المال الذي ستدره عليها هذه العملية. وتخيلت سعادة والدها كل مرة كان يضع إحدى مخطوطاته في متناول القراء وصممت على نشر آخر ترجماته تخليداً لاسمه.

ثم تساءلت في سرها عن سبب عدم رواج كتب والدها، فقد كانت مليئة بالإثارة والشعر، وذات قيمة أدبية لا يستهان بها. فالقراء يفضلون قراءة كتب تافهة لا قيمة لها.

وضحكت وأجابت نفسها بصوت عال:

«اما انا يا أبي! فقد أحببت وأعجبت بكل ما ترجمت. حتى والدتي كانت معجبة بأعمالك.. لابد ان تكتشف هذه الأعمال يوماً فتصبح كاتباً معروفاً».

شعرت بالارتياح لمجرد مرور هذه الافكار في رأسها. قد يصبح والدها اللورد بيرون مشهوراً بين ليلة وضحاها فتصبح هذه القرية الصغيرة مكاناً يزوره كل من أعجب بكتابته وقدرها.

وتخيلت نفسها تقابل العلماء أمثال والدها وتستقبلهم في قريتها الصغيرة. وقادتها أفكارها بعيداً فرأت نفسها تلقي المحاضرات في الجامعة حول اللغة اليونانية...

لكن هذا الحلم الجميل لم يتحقق وبقيت كتابات وأعمال والدها مجهولة، لم تلق حتى الاهتمام الكافي من الناشر. وخشيت باندیا ان يرفض هذا الأخير نشر ما كتبه والدها قبل وفاته فأحست بالكآبة. فهي لن تحصل إلا على مبلغ ضئيل جداً من المال لقاء هذه الأعمال فلولا الميراث الذي ورثته هي وشقيقتها عن والدتها لكانت العائلة تموت جوعاً الآن.

فلا زالت باندیا لا تقوى على تصديق ما فعلته توأمتها سيلين قبل ثلاث سنوات فقد تركت المنزل فجأة تاركة وراءها ورقة صغيرة. ولم تغب تعابير الذعر التي قرأتها على وجه والدها عند قراءته الكلمات التي تركتها أختها:

«سألتحق بعائلة والدتي، سأطلب إليهم السماح لي بالاقامة عندهم، لم أعد احتمل العيش في هذه القرية المملة ولا هذه الحياة البائسة. ارجو الا تحاولوا اللحاق بي، فلن أتراجع عن قراري ابداً».

سيلين

هذا كل ما كتبت.

خلت رسالتها من أية لفظة حنان أو عطف تجاه والدها أو والدتها اللذين احباها بقوة. خلت من أية كلمة اعتذار ولم تذكر حتى توأمتها التي كانت تعتقد أنه لا يمكن لها العيش بدونها أو حتى بعيدة عنها.

لم تكن سيلين في الواقع من النوع العاطفي، لم تحب والديها، وكانت باندیا تعي هذه الحقيقة المرة والمؤلمة، فاعتقدت على عكس شقيقتها ان التوائم تختلف عن باقي الناس فيصعب ابتعاد إحداهما عن الأخرى، فقد كانتا تتشابهان في الشكل إلى درجة يصعب تميز إحداهما عن الأخرى. ولكن بخلاف الشكل الخارجي لم يكن يجمع باندیا بأختها أية نقطة مشتركة في الطباع والتصرفات. وتقبلت باندیا هذه الحقيقة بصعوبة بالغة وعانت منها طويلاً إذ انها كانت تحب شقيقتها حباً كبيراً.

كانت باندیا تعي طموحات سيلين الاجتماعية فتحلم هذه الأخيرة بحياة الترف والرفاهية وتتأفف باستمرار من الحياة الهادئة التي كانت تعيشها مع عائلتها في القرية.

تذكرت ما كانت سيلين تردده على مسمعها:

ـ كم كانت والدتي بلهاء عندما تركت عائلتها الغنية وحياة الترف والرفاهية هناك.

ـ لقد أحبت والدي! كانت تحبها باندیا بحدة.

ـ لكنه ليس إلا رجلاً بائساً فقيراً!

ـ لا تنسي أن والدنا يتحدر من اسرة عريقة فهو ينتمي إلى عائلة فقيرة لكن نبيلة.

ـ لا يهم هذا ؟[كانت سيلين تجيب بغضب]، اين عزائي في ذلك فقد تركت والدتي عائلتها الغنية في لندن لتلتحق بهذا الذي تجري في عروقه دماء مجرية.

وصدم جواب سيلين يومها باندیا فأجابت بغضب:

ـ لا تتحدثي بهذه الطريقة عن أبيك يا سيلين! إن أباك عالم كبير، فالترجمات التي يقوم بها هي أعمال مميزة وقيمة.

ورفعت سيلين كتفيها وأجابت:

ـ من الذي يشاركك هذا الرأي... عدا والدتي بالطبع.

كان في لهجة سيلين الكثير من الاستخفاف والاحتقار، فقد كانت تلوم والدتها على تصرفها ولم تغفر لها أبداً هذه الغلطة التي أجبرتها على العيش في هذه القرية المتواضعة.

كانت الفتاتان غالباً ما تطلبان إلى والدتهما أن تخبرهما عن حياة القصور في اكسفورد اثناء غياب رب الاسرة عن المنزل إذ إن والدها اللورد فراندسن كان شخصية هامة يترأس مقاطعة كبيرة ورجلاً معروفاً ومقرباً من البلاط.

كانت والدة التوأمتين تصف لهما بدقة الحفلات الراقصة وحفلات

العشاء التي كانت تقام في القصور. فتصغي الفتاتان إليها بكل اهتمام فتقصّ عليهما كيف شاركت لأول مرة في هذه الحفلات، وكيف دخلت إلى القصر في لندن. فكان ذلك بالنسبة إلى باندیا قصة خرافية كقصص العجوز الساحرة. أما بالنسبة إلى سيلين فقد كان ذلك بمثابة الحياة في الجنة والحياة المثلى التي كانت تحلم بها. ويزيد حقدها على والدتها التي آثرت العيش إلى جانب والدها والتخلي عن كل هذه الاجواء.

ـ أنا أيضاً أريد الذهاب إلى الحفلات الراقصة عندما أكبر.. كانت تصيح سيلين عندما تختلي بأختها في غرفتهما. سأعيش في منزل كبير، واقتني الجياد الأصيلة، وأحضر الحفلات الراقصة وألبس أثمن الأثواب...

وتنظر بعدها في المرآة قائلة:

ـ انني جميلة حقاً! من الذي يقدر جمالي هنا؟ مجانين القرية والأولاد البلهاء!

فتلزم باندیا الصمت وتفضل عدم إجابة أختها، خوفاً من أن تسمع والدتها ما تردده سيلين دائماً، فتحزن لعدم قدرتها على إسعاد ابنتها.

لم تقرر سيلين الهرب إلا بعد مرض والدتها التي فقدت قواها شيئاً فشيئاً، فانتظرت وفاتها ونفذت خطتها. وبكت باندیا يومها بمرارة فقد فقدت والدتها وتوأمتها دفعة واحدة.

www.elromancia.com

كانت تطلب من الله أن تغير سيلين رأيها وتعود إلى المنزل فتعيشان سعيدتين إلى جانب والدهما. لكن سيلين بهرت بحياتها الجديدة التي كانت تتوق إليها باستمرار ونسيت والدها وأختها ولم تكتب إليهما ابداً.

تركت سيلين منزل والديها وهي في السابعة عشرة من عمرها. فقد مضى على رحيلها ٣ سنوات وبعد شهرين ستتم التوأمتان التاسعة عشرة.

ترددت باندیا كثيراً قبل ان تقرر الكتابة إلى أختها لتخبرها بوفاة والدهما، وأرسلت الرسالة أخيراً إلى جدتها في مقاطعة أكسفورد علّها توصلها إلى سيلين لتحضر دفن والدها.

وتساءلت في نفسها: هل تبدلت سيلين؟ هل هي سعيدة في حياتها الجديدة؟ هلاّ زالت تشبهني كما كانت منذ ثلاث سنوات؟

ونظرت باندیا في المرآة ولاحظت بكل تواضع أنها زادت جمالاً عما كانت عليه في السابعة عشرة فخصلات شعرها الأحمر اللماعة تضفي نوعاً من السحر الفتان على بشرتها البيضاء الناعمة التي ورثتها عن أجدادها المجريين. كانت عيناها كبيرتين واسعتين ومعبرتين عن كل ما يجول في خاطرها. أنفها صغير ومستقيم وشفتاها مرسومتان بدقة متناهية تفترّان عن ابتسامة ساحرة.

عينا سيلين تشبهان عيني باندیا بالكبر وباللون الأخضر، فهي لا

زالت تتذكر عيني اختها اللتين كانتا تقذفان شرراً عندما تغضب وتمتلآن بالدفء والحرارة عند شعورها بالفرح والسعادة.

وفي هذه الأثناء كانت ناني المربية المسنة تحضر طعام الغداء في المطبخ. ولم تكن باندیا تشعر بالجوع فقد أثرت وفاة والدها في شهيتها، فتمضي معظم الأوقات شاردة الأفكار، صامتة، تفكر بالمستقبل بعد ان أصبحت وحيدة.

- هذا أنت يا آنسة باندیا؟.. سألت المرأة العجوز عند سماع اقتراب خطوات الفتاة.

- اجل، لقد عدت لتوي من المقبرة. إن الطقس قارس اليوم.

- لقد أشعلت الموقد في المكتب.

- شكراً لك يا ناني. هذا لطف منك. هل تريدين مساعدة في إعداد الطعام؟

- لا! أجابت ناني، إذهبي واجلسي أمام الموقد. فأنا أخاف عليك من البرد.

كانت ناني تخاف كثيراً من البرد وتشعر بنوع من عقدة الذنب بعد أن توفيت والدة باندیا إثر نزلة صدرية حادة، فقد كانت مسؤولة عن تدفئة المنزل آنذاك.

- حسناً. قالت باندیا. سأذهب إلى غرفة المكتب، أرجو أن تناديني فور انتهائك من تحضير الطعام.

www.elromancia.com

لم تجب ناني، فعادت باندیا أدراجها إلى المكتب وهي تحمد الله على وجود كمية وافرة من الحطب للتدفئة وراء المنزل، فأسعار الفحم مرتفعة جداً في هذه الفترة من السنة.

أحسّت باندیا بعطف شديد تجاه مربيتها، وشعرت بضرورة الاهتمام بها فقد هرمت وناهز عمرها السبعين عاماً، فقد جاءت لخدمة العائلة منذ ولادة التوأمتين وعملت بكل وفاء وتفان.

إنها عائلتي الوحيدة الآن «قالت باندیا في سرها». لا شك أنني فقدت سيلين إلى الأبد أيضاً!

لكن لطف وتفهم ناني لن يعوضاها حنان والدها ولن يملأ الفراغ الذي تركه بعد موته.

فقد أحست باندیا بعاطفة كبيرة نحو والدها بعد مرضه، كان يتحدث إليها ويعاملها كما يعامل شخصاً كبيراً بالغاً. وتذكر أنه قال لها ذات مرة:

- «لديك ذكاء وفطنة الرجال يا باندیا. رغم أنوثتك! فلو وهبني الله صبياً لما كان أكثر موهبة منك».

- «شكراً يا أبي»، أجابت الفتاة بفرح. فهذا دليل فخر والدها بها.

عملت باندیا بكل جهد من أجل إرضاء والدها وعمد هذا الأخير إلى تدريس الفتاتين كل المواد الهامة بنفسه وذلك بالإضافة إلى الدروس التي كانتا تتابعانها في مدرسة القرية. فعلمهما اللغة اليونانية واللغات

الأخرى، والأدب الإنجليزي والجغرافيا . . . ففي الجغرافيا مثلاً كان يشرح لهما بالإضافة إلى خريطة العالم عادات وتقاليد الشعوب.

كانت باندیا تشعر بمتعة خاصة في سماع هذه الدروس فتصغي إلى والدها باهتمام بالغ. فيما تشعر سيلين بالملل والضجر دون أن تجرؤ على البوح بذلك أمام والدها فتتصنع الانتباه وتصغي رغماً عن أنفها.

- أريد التعرف على الناس، كانت تردد دائماً، لا التعرف على عاداتهم من خلال الكتب. ما نفع أن نعرف مثلاً أن المجريين كانوا من أفضل الفرسان إذا كنا لا نملك إلا مطية لا تصلح حتى لجر عربة.

- لا تنسي يا سيلين أن آخر حصان اشتريناه كان من أفضل الجياد في القرية. كما أن معلومات والدي هذه وثقافته جعلت منه رجلاً محبوباً ومحترماً في القرية.

- أما أنا فأريد حصاناً أصيلاً، أجابت سيلين بغضب. فأذهب إلى الصيد لقنص الحيوانات برفقة مجموعة من الكلاب المدربة.

لم يكن كل ما تحلم به سيلين شيئاً ممكناً في برفورد شير، هذه المقاطعة الصغيرة والفقيرة، التي يعيش معظم سكانها من زراعة بساتينهم وأراضيهم فقد أطلق عليها اسم «بستان انكلترا». فأحلام سيلين مستحيلة في مثل تلك المنطقة.

أما بالنسبة إلى باندیا فقد كانت هذه المنطقة تتميز بطابع خاص ساحر، فكانت تحب تأمل السواقي الصغيرة تنساب عبر السهول

www.elromancia.com

فتقطف الأزهار والطحالب في الربيع، وتراقب الأرانب البرية في فصل الشتاء وهي تقفز فوق الثلوج.

كل ذلك كان مملاً وحزيناً بالنسبة إلى سيلين، وهذا ما دفعها إلى مغادرة البلدة مرة واحدة دون الشعور بأية رغبة في العودة أو حتى الحنين إلى أهلها ومنزلها حيث أمضت طفولتها.

دخلت باندیا إلى غرفة المكتب. واستلقت على الأرض أمام المدفأة وقالت بصوت عال:

ـ ما الذي يجب أن أفعله الآن يا أبي؟ هل باستطاعتي إتمام العمل الذي بدأت به؟ هل يمكنني إتمام كتابك؟ وانتظرت أن تسمع جواب والدها بلهجته الخاصة ذات اللكنة المجرية. لكنها لم تسمع شيئاً من ذلك.

وتنهدت قائلة:

ـ يجب أن أتخذ هذا القرار بنفسي. إنها المرة الأولى في حياتي التي أقوم فيها بذلك. فليس لي من أستشيره في هذا الموضوع. لن يكون الأمر بهذه السهولة. لقد اعتمدت عليك يا أبي في كل شيء حتى الآن وعلي تحمل مسؤولياتي من الآن فصاعداً.

كانت باندیا تعلم أنها لا تمتلك الشجاعة الكافية لتتصرف كشقيقتها سيلين. فقد كانتا توأمتين متكاملتين أي إن احداهما تعتبر «النصف الآخر» للتوأمة الأخرى، كما كانت تقول المربية ناني، فسيلين قوية

الشخصية عنيدة ذات إرادة حديدية لا يثنيها عن رغبتها رادع. أما باندیا فكانت مترددة هادئة ولينة الطباع تخاف من المشاكل ومن إيذاء الاخرين أو حتى جرح شعورهم، فتتراجع عن موقفها لمجرد تعرضها لمشكلة صغيرة.

توجهت باندیا إلى المطبخ ظناً منها أنها سمعت صوت ناني يناديها «فالغداء جاهز» قالت في نفسها. ونظرت قبل مغادرة الغرفة إلى المقعد الذي كان يجلس والدها عليه، كأنها تريد أن تتأكد أنه لا يحتاج شيئاً، كما كانت تفعل أيام مرضه وملازمته غرفة المكتب. وأحست بالألم يعتصر قلبها، فالمقعد خالٍ وسيبقى كذلك. كم من الوقت يلزمني لأعتاد على فراق والدي؟ تساءلت في سرها. واجتازت المدخل الصغير متجهة نحو المطبخ وإذ بها تسمع فجأة طرقاً على الباب الخارجي.

واستغربت باندیا الأمر «من الطارق يا ترى؟» تساءلت فقد اعتاد سكان القرية الدخول من الباب الخلفي للمنزل والذي يؤدي مباشرة إلى المطبخ. فحثّت الخطى وتوجهت لتفتح الباب.

وتسمرت باندیا في مكانها مذهولة لبضع دقائق. ظنت نفسها في حلم.

وقفت سيلين أمامها في المدخل... كانت ترتدي معطفاً أنيقاً ومشلحاً من الفرو ووضعت فوق رأسها قبعة زينت بريش النعام. ظنت باندیا أنها ترى نفسها في حلة جديدة وقد كان الشبه بين التوأمتين صارخاً رغم مرور مدة طويلة على فراقهما وصرخت أخيراً:

- سيلين.

لم تتلفظ بأكثر من هذه الكلمة فقد دفعتها سيلين ودخلت إلى المنزل قائلة:

- هل ادهشتك رؤيتي إلى هذا الحد؟

- بالطبع! لقد تأخرت يا سيلين فقد دفن والدي البارحة.

- أعلم ذلك، لقد جئت لرؤيتك أنتِ! هل هناك أحد آخر في المنزل؟

وأغلقت باندیا الباب فقد كانت الرياح تعصف بشدة في الخارج، وظهرت أمامها العربة الأنيقة التي اقلت سيلين.

- إن ناني في المطبخ، إلى اين تتجه عربتك يا سيلين؟

خشيت باندیا ان تكون سيلين قد عادت إلى المنزل بصفة نهائية، فهي فتاة متطلبة لن تتحمل حياة التقشف التي تعيشها مع ناني.

- لقد طلبت إلى الحوذي والخادم أن يقودا الاحصنة إلى الاسطبل علها ترتاح قليلاً من عناء الرحلة.

- تعالي إلى غرفة المكتب فالبرد قارس هنا. سأعلم ناني بقدومك. أعتقد أن الغداء جاهز.

- إنني اشعر بقليل من الجوع. فقد قطعت مسافة طويلة اليوم. لم أكن اتصور أننا نبعد كل هذه المسافة عن لندن.

قالت سيلين جملتها الأخيرة وكأنها تضع اللوم على أختها بسبب بعد المسافة. وركضت باندیا إلى المطبخ قائلة:

- ناني، ناني لقد عادت سيلين، وصلت لتوها.

- لقد تأخرت كثيراً على الدفن! أجابت المرأة العجوز.

- هذا ما قلته، أجابت باندیا، إنها جائعة. ستتناول الغداء في غرفة الطعام اليوم...

عقدت ناني حاجبيها، فلم تعجبها فكرة باندیا الأخيرة، وهمت بالاجابة ولكنها سكتت على مضض.

فقد اعتادت باندیا ومربيتها على تناول وجبات الطعام في المطبخ وذلك منذ مرض والدها. لكن سيلين لن تتقبل ذلك أبداً.

ركضت الفتاة إلى الغرفة التي لم تستعمل منذ مدة طويلة وبدأت بإعداد الطاولة. كانت عبارة عن غرفة متواضعة جداً ذات أثاث بالٍ وقديم. وتذكرت باندیا والدتها التي كانت تضع دائماً زهرية من الورود البرية فوق الطاولة. فأخرجت الغطاء الأبيض والأواني الفضية التي كانت تحتفظ بها مخبأة في الخزانة فلا تخرجها إلا في المناسبات. ورتبت المائدة بطريقة ذكرتها بالأيام التي كانت تجلس العائلة حولها كاملة.

وتفقدت المطبخ حيث كانت تفوح رائحة الأرنب المطبوخ الشهية. «أصبح كل شيء جاهزاً الآن» قالت في نفسها. والتحقت بسيلين في المكتب.

www.elromancia.com

ـ الغداء جاهز يا سيلين. انزعي قبعتك ومعطفك الآن.

ـ آه صحيح. لابد أن أرتاح قليلاً من عناء السفر. أجابت سيلين.

وراقبت باندیا أختها وهي تجلس في المقعد الذي كان مخصصاً لوالدها من قبل ولم تنبس ببنت شفة. فقد خلعت سيلين معطفها وقبعتها ولاحظت باندیا ان أوجه الشبه بينها وبين شقيقتها قد تباينت قليلاً، فطريقة تصفيف شعر سيلين ومكياجها زادا من فتنتها وجمالها.

ـ لا زلنا نتشابه بشكل صارخ يا باندیا!

غمرت الفرحة قلب باندیا لهذه الملاحظة فأجابت:

ـ لقد ظننت للحظة أنك تغيرت كثيراً. كل ذلك يعود إلى طريقة تصفيف شعرك. إنك تبدين رائعة يا سيلين!

ـ أتظنين حقاً أنني رائعة؟ فقد توقعت أن تعجبك أناقتي. أجابت سيلين بثقة. إن مركزي الاجتماعي يفرض علي أن أظهر دائماً بمظهر لائق وألبس أثمن الأثواب!

ـ مركزك الاجتماعي! قالت باندیا بتعجب.

ـ أجل! لقد تزوجت يا عزيزتي باندیا، ألم تصلك أخباري هذه؟

ـ من أين لي أن أعلم بكل ذلك؟ فلم تكتبي لنا ولو مرة واحدة! أجابت باندیا معاتبة.

وقهقهت سيلين قائلة:

ـ من أين لكم ان تعرفوا حقاً في هذه البقعة النائية من العالم، خاصة وأن والدي لم يكن يقرأ الجرائد. قد تتوقف الكرة الأرضية عن الدوران يوماً دون أن يعلم أحد بذلك في هذه القرية الصغيرة.

ـ كان يجدر بك إعلامنا بذلك يا سيلين. كان بوسعك أن تكتبي إليّ مرة واحدة على الأقل.

لم تجب سيلين فقد كانت منهمكة في إعادة ترتيب وتصفيف شعرها أمام المرآة. كانت ترتدي ثوباً من الحرير الأزرق زاد قامتها النحيلة رشاقة وجمالاً.

ـ أريد أن أتناول شراباً منعشاً بعد هذه الرحلة الطويلة. قالت سيلين وهي تتوجه نحو غرفة الطعام.

ـ هناك زجاجة شراب في المطبخ سأذهب لاحضارها. لمَ لم تعلميني بقدومك يا سيلين؟ لقد اعدت لنا ناني أرنباً برياً للغداء. لاشك أنك تتذكرين اطباق ناني الشهية!

ـ أرنب، أرنب. لن تغيروا عاداتكم في هذا المنزل إنه الطبق الأقل كلفة في هذه المنطقة. أنا لا أحب أن اتذكر الأيام الماضية يا باندیا. يخيل إلي أنني أكلت الأرنب سنوات متتالية وبكمية تكفيني العمر كله.

تجاهلت باندیا جواب أختها الساخر قائلة في نفسها إن سيلين لن تتغير أبداً. فنادراً ما كانت هذه الأخيرة تبدي رضاها وارتياحها عن أي تصرف أو ترتيب في المنزل.

وذهبت للتفتيش عن زجاجة الشراب في الخزانة.

جلست التوأمتان لتناول طعام الغداء فساد الصمت بينهما بعض الوقت.

www.elromancia.com

- مسكين والدي، قالت أخيراً سيلين، لقد عاش غريباً في هذه البلاد طوال حياته.

- لم تتكلمين بهذه الطريقة عن والدك يا سيلين؟ قالت باندیا بغضب.

- أجل لقد كان غريباً. لقد كان أهالي القرية يطلقون عليه اسم «الاستاذ المجري» لن أفهم ابداً تصرف والدتي التي هربت من الجنة التي كانت تعيش فيها لتبقى إلى جانبه بقية حياتها.

اعتادت باندیا على ملاحظات أختها هذه فآثرت عدم الإجابة لكن سيلين تابعت:

- إن منزل جدي في لندن رائع يا باندیا. إنها إقامة فسيحة رائعة، تشبه منزلي قليلاً ولو أن دار جدي أكبر منها بعض الشيء.

- ما اسم زوجك يا سيلين حدثيني قليلاً عنه. قالت لها باندیا بحياء.

- إنه الكونت لينبورن. أجابت سيلين بكل ثقة وافتخار.

- وأنا الكونتيسة لينبورن يا صغيرتي. أتعلمين ما معنى كونتيسة؟ لقد وصلت إلى المركز الذي كنت أحلم به: المنزل والخدم والثياب وحياة الترف والحفلات والجياد الاصيلة وو...

كانت تتحدث كطفلة صغيرة تريد إثارة إعجاب ودهشة أختها.

- إنني سعيدة حقاً لأجلك يا سيلين. أجابت باندیا بصوت ناعم

فقد كان والدي يردد دائماً «انّ من يشعر برغبة شديدة في الحصول على شيء ما، لابد أن يناله مهما حصل».

- ما كان على والدي إلا ان يشعر برغبة شديدة للحصول على مزيد من المال لو كان يعتقد ذلك حقاً. أجابت سيلين بسخرية فما كنا عشنا هذه الحياة البائسة والفقيرة. ولما كانت والدتي توفيت بسبب قلة التدفئة في المنزل.

وتنفست باندیا الصعداء وأجابت:

- انك تكذبين يا سيلين! لقد حصلنا على كل ما يلزمنا في صغرنا. كنا نأكل ونلبس بطريقة حسنة وجيدة وذلك قدر إمكانات أهلنا. فلا تجرّحي بوالدينا الآن بعدما أصبحا في عداد الأموات.

- ربما حصلت على كل ما تتمنين يا باندیا. أما أنا فقد كانت لدي نظرة أخرى للحياة وطموحات وتطلعات لا تتفق ابداً ونمط الحياة الذي كنت أعيشه مع والديّ. إنني أكره الفقر وحياة التقشف ولا أقوى على تحملها.

ولم تتحمل باندیا سماع شقيقتها تتهكم بهذه الطريقة على الحياة التي عاشتها إلى جانب والديها فقاطعتها قائلة:

- لقد حصلت الآن على كل ما كنت تحلمين به. ما فائدة الحديث عن الماضي؟

- أجل لقد حصلت على كل ما تمنيت. أجابت سيلين.

- متى تزوجت؟ سألتها أختها.

- بعد مرور سنة تقريباً على هربي من المنزل أي في سن السابعة عشرة وثمانية أشهر. فقد وقع الكونت في غرامي من أول نظرة.

- هل هو وسيم وطويل القامة؟ كما كنت تتخيلين فارس أحلامك دائماً.

وترددت سيلين في الإجابة:

- إنه.. انه يكبرني سناً.. لكنني أحترمه وأقدره. سبق له أن تزوج، لكن ليس لديه أي وريث.

- هل انت حامل؟ سألتها باندیا بحياء.

- لا الحمد لله. إنني لا زلت فتية السن، وأريد أن أنعم بالحياة كما أشاء فأعوض الحياة المنعزلة التي عشتها هنا.

ولم ترغب باندیا في إثارة الحديث عن الحياة الماضية مرة أخرى فقاطعت شقيقتها قائلة:

- ما كان موقف جدي وجدتي عندما حللت ضيفة عليهما؟

- كانا في غاية اللطف معي.. أجابت سيلين. قلت لهما يومها إن والدتي قد لاقت حتفها فلم أجد من يهتم بي بعدها. فعاملاني كأنني ابنتهما الصغيرة.. عاملني أعمامي بكل لطف أيضاً، إن اكبرهم هو اللورد غراندسين الآن. وقد أظهرت زوجاتهم بعض الغيرة تجاهي بادىء الأمر، لكن الأمور سارت على ما يرام بعد زواجي.

- آه، إنني أفهم ذلك. أجابت باندیا.

- طبعاً، تابعت سيلين. فقد خفت غيرتهن بعد زواجي فحسدنني على المركز واللقب الذي حصلت عليه بعد زواجي من الكونت.

استمعت باندیا إلى تفاصيل حياة شقيقتها دون أن تتوقف عن تناول الطعام. وأحست من طريقة حديث سيلين أنها تحاول التأثير فيها وحثها على تقبل وضعيتها الجديدة. كما أحست أنها ترمي الوصول إلى هدف ما من وراء سرد كل هذه الأحداث.

- هل تقدم الكثيرون لطلب يدك قبل الكونت لينبورن؟ سألتها باندیا.

- أجل ثلاثة لكن أوضاعهم المالية لم تغرني كثيراً.

- لا شك أن حفلة زواجك كانت رائعة. كم كنت اتمنى ان أكون من بين المدعوين! قالت باندیا ببساطة.

- لقد كان ذلك مستحيلاً يا عزيزتي. أجابت سيلين بتردد.

- لماذا؟ هل يخجلك منظري؟ سألت باندیا بانزعاج.

وترددت سيلين في قول الحقيقة:

- لقد قلت لجدي وجدتي فور وصولي إلى لندن إنني فقدت كل عائلتي. فقد اخبرتهما أنك ووالديّ قد فارقتم الحياة.

- هذا ما قلته لهما حقاً؟ ولماذا؟

- كنت أود ان أحوز على كل اهتمامهم ظناً منهم أنني أصبحت

www.elromancia.com

وحيدة يتيمة في هذه الدنيا فيصعب عليهم بذلك رفض طلب إيوائي. هل فهمت الآن لماذا قلت لهم إنكم لاقيتم حتفكم.

لم تقوَ باندیا على الإجابة، فقد اذهلها تصرف أختها فتمالكت أعصابها وأجابت بكل هدوء.

- لم أكن اتصور يوماً أنك قادرة على فعل ذلك يا سيلين! إنك حقاً خبيثة! كيف استطعت اختلاق كل هذه الاكاذيب؟ فقد تنكرت لوالدك وشقيقتك وهما على قيد الحياة. إن ذلك لم يكن ليرضي والدينا أبداً.

وأجابت سيلين محاولة الدفاع عن نفسها:

- كنت على يقين من أنهما لن يعرفا الحقيقة أبداً. فقد صدقني أهل والدتي ولم يحاولوا حتى التأكد من الموضوع. كما كنت متأكدة من جهة ثانية أن والدي لن يقوم أبداً بأية محاولة لاقتفاء أثري في أكسفورد أو حتى لمعرفة أخباري.

- إنه لشيء مؤسف حقاً، فلا أرى الأسباب الحقيقية التي دفعتك إلى اختلاق مثل هذه الأكاذيب؟ قالت باندیا جملتها الأخيرة وهي تهز برأسها كأنها لا تصدق ما تقوله شقيقتها.

كانت سيلين تحلم دائماً بان تكون فتاة وحيدة، فتكون محور اهتمام العائلة فلا يعني لها شيئاً أن يكون لها أخت أو حتى توأمة.

- وتذكرت باندیا أن سيلين قالت ذات مرة: ليس من العدل أبداً أن

اتقاسم معك كل شيء. فيظننا الناس شخصاً واحداً. أريد أن أكون «نفسي» ولا أرغب أن تكوني نصفي الآخر أبداً كما لا أرغب في أن أكون نصفك الآخر.

قالت ذلك يومها تحت تأثير الغضب، فحاولت باندیا تجاهل كلماتها الجارحة ونسيانها. وها هي تعي اليوم مرة أخرى أن سيلين لم تتخل أبداً عن هذه الفكرة، أي انانيتها. فقد ابتعدت عن توأمتها في أول فرصة سانحة بل إنها لم تتوان عن اعتبار كل عائلتها في عداد الأموات خدمة لمصالحها وتحقيق أحلامها.

وفضلت باندیا عدم الإجابة فلا فائدة من محاولة ردع أختها. فسألتها بكل برود:

- قولي لي يا سيلين ما الذي جاء بك إلى هذه القرية ثانية؟

وصمتت سيلين بضع دقائق ظنت باندیا أنها تفكر في اختلاق كذبة جديدة لكنها قالت أخيراً بصوت متردد:

- إنني بحاجة إلى مساعدتك يا باندیا! إنك الشخص الوحيد الذي يستطيع مساعدتي في هذا الموضوع...

www.elromancia.com

دهشت باندیا وراقبت أختها لعدة ثوان بصمت. واستغربت أن تطلب أختها مساعدتها بعد هذه الفترة الطويلة. فقد اختفت سيلين دفعة واحدة لمدة ثلاث سنوات دون أن تسأل عن أهلها. فقد كانت سيلين ذات تأثير كبير في شقيقتها فشعرت باندیا بنوع من الارتياح ذلك ان توأمتها فكرت بها شخصياً لتساعدها فأجابت قائلة:

- إنني مستعدة لمساعدتك يا سيلين. ذلك قدر امكاناتي. قولي لي ما الموضوع؟

وشربت سيلين ما تبقى في كأسها من شراب وقالت:

- انها قصة غريبة بعض الشيء يا باندیا. فقد كنت قد رتبت أموري لقضاء بضعة ايام برفقة شخص يهمني ولكن...

ولم تفهم باندیا قصد أختها فاتسعت عيناها وهزت برأسها طلباً لمزيد من الايضاحات.

- عليّ أن التحق بذلك الشخص اليوم بالتحديد، إذ إن زوجي يقوم بمهمة حكومية في باريس وقد توفي أحد أقاربه منذ يومين لسوء الحظ... وعلي في هذه الحالة حضور مراسيم الدفن عوضاً عنه.

- اعتقد ان زوجك يجهل وجودي أيضاً؟ سألت باندیا بصوت خافت.

- بالطبع.. أجابت سيلين، فهو كجدي وجدتي يعتقدانني يتيمة منذ ثلاث سنوات.

وشعرت باندیا بنوع من التحدي في لهجة اختها، فقد حذفتها من الوجود بكل سهولة واحست برغبة شديدة بالبكاء لكنها تمالكت أعصابها وفضلت عدم إظهار ضعفها أمام سيلين.

- لقد سافر جورج اليوم صباحاً إلى باريس في مهمة حكومية. وكان من المفترض أن أسافر إلى لندن اليوم. ولكن وردتني رسالة مفاجئة لحضور مراسيم دفن أحد أقارب زوجي.

- من هذا الذي توفي؟ سألت باندیا باهتمام.

- الدوق دي دورينغكور. إنه شخصية هامة. وقد حرص زوجي أن احل مكانه وأمثله في مراسيم الدفن التي ستقام غداً.

وساد صمت ثقيل قطعته باندیا سائلة:

- إذا كان الدوق من أقارب زوجك فلا يمكنك التغيب في مثل هذه المناسبة.

www.elromancia.com

ـ من المستحيل أن أتغيب، أردفت سيلين. ولا أريد أن أبكي رجلاً توفي وارتاح من الدنيا فأتخلف عن موعدي الهام في لندن.

وتعجّبت باندیا لحديث أختها فسألتها:

ـ من هو هذا الشخص الذي يهمك لهذه الدرجة؟ إن لهجتك تتغير في كل مرة تتحدثين عنه.

ـ لا يمكنني أن اقول لك اسمه الآن. لكنني أحبه يا باندیا. أحبه بكل قواي.

ـ لكنك متزوجة يا سيلين! أجابتها باندیا باندهاش.

ـ لا علاقة لذلك بالزواج! أجابت بحدة.

ـ لقد كنت أعتقد أنه من المستحيل أن تحب زوجة رجلاً آخر غير زوجها.

وضحكت سيلين استخفافاً بأفكار أختها:

ـ لقد توقعت ردة فعلك هذه يا باندیا! إنك تجهلين كل شيء عن حياة الارستقراطيين في لندن.

ـ سيلين! صرخت باندیا. هل نسيت القيم التي عمد والدانا على تلقيننا إياها؟ فلو كانا احياء لما رضيا عن تصرفاتك هذه؟

ـ آه! أرجوك يا باندیا لا تحاولي تعقيد الأمور. وأفضل أن التزم الصمت على أن اسمع ردود فعلك التافهة هذه. كنت أعتقد أنه بامكاني الاعتماد عليك كما كان الحال في صغرنا. فلم نخفِ يوماً أسرارنا الواحدة عن الأخرى.

ـ لم أكن أخفي عليك سراً في صغري يا سيلين. أخبريني كل شيء. وأرجو ان تتفهمي ردة فعلي هذه فليس لدي أية فكرة عن حياتك الجديدة هناك.

ـ هذا طبيعي، أجابت سيلين فحياتك المعزولة في هذه البقعة النائية تؤثر كثيراً في نظرتك للحياة.

ـ حدثيني عن هذا الشخص الذي تحبين. قاطعتها باندیا.

واتكأت سيلين فوق الطاولة ولزمت الصمت ونظرت إلى أختها ملياً ثم قالت:

ـ انه رائع يا باندیا! انه الرجل الأكثر جاذبية والأكثر جمالاً...

ـ هل يحبك؟ سألتها باندیا بحذر.

ـ بالطبع يحبني، وبالقدر الذي أحبه أنا. لم أكن اتصور ابداً انه من الممكن ان يكون للانسان كل هذه الاحاسيس تجاه شخص آخر.

ـ لكن سيلين! ما الذي ستفعلينه الآن؟ انك زوجة الكونت.

ـ انني أتعذب وأقاسي كثيراً من عدم تمكني من رؤية ايفور بالقدر الذي أتمنى. اجابت سيلين.

عبرت لهجة سيلين عن كثير من الحزن والكآبة الشيء الذي لم يكن عادياً بالنسبة إليها فقد كانت قوية الشخصية لا تبين مشاعرها بسهولة.

ـ إن النار التي تجري في عروقي هي نار مجرية يا باندیا. انه الشيء الوحيد الذي ورثته عن والدي.

ـ لن يرضى والدي أبداً ان تعرضي نفسك للمشاكل يا سيلين.

www.elromancia.com

- لن اتعرض لاية مشكلة. سأكون حذرة قدر الإمكان. لكن كل شيء يتوقف على مساعدتك لي.

- كيف لي أن أساعدك؟

- إن الأمر بغاية السهولة! ستذهبين إلى مراسيم دفن الدوق بدلاً عني.

- اذهب إلى... مهلاً يا سيلين! كيف لي أن أفعل ذلك؟

واقتربت منها سيلين وقالت محاولة تشجيع أختها:

- إن الأمر بغاية السهولة يا باندیا. سأقول لك ما عليك القيام به بالضبط وبكل التفاصيل. فرغم ابتعادي عنك فالشبه بيننا لا زال صارخاً.

- لن يصدق أحد ابداً انني... «أنت».

- ستلبسين ثيابي وتركبين عربتي! إنها مغامرة رائعة يا باندیا. لا يعلم احد بوجودك أبداً هناك فلا داعي للتردد والخوف.

- لا أستطيع تحمل هذه التجربة. سأموت من الخوف إذا ما وجه لي أي شخص الكلام. لا.. لا يمكنني القيام بذلك.

- حقاً يا باندیا! كم كان والدي يتحدث عن ذكائك. إنني متيقنة أنك قادرة على تقديم هذه الخدمة لي.

- ليس بالشيء السهل هذا الذي تطلبين! إنها ليست خدمة صغيرة. (احتجت باندیا بلهجة غاضبة).

- اسمعيني جيداً يا أختاه لن تلاقي أية صعوبة. ستقومين بهذا الدور بكل سهولة. إنني في أمس الحاجة إلى مساعدتك ستعودين بعدها إلى القرية وكأن شيئاً لم يكن. لن يشك أحد في الموضوع. فلا أحد يعلم بوجودك أو حتى بوجود توأمة لي على قيد الحياة. أرجوك لا ترفضي مساعدتي يا باندیا.

وأحست باندیا بقدرة أختها في التأثير فيها وجعلها العوبة بين يديها. فهي لا تقوى على رفض طلبها، رغم معرفتها المسبقة بأن اختها على خطأ وأن في المهمة التي تطلب منها شقيقتها القيام بها كثيراً من المخاطرة والعقوبة. كيف لي أن أرفض طلب سيلين وأقول لها لا، قالت في سرها إنها عائلتي الوحيدة، كل ما تبقى لي في هذه الحياة فهي تحبها رغم كل ما قامت وما تقوم به.

- ألا يمكنك يا سيلين تأجيل موعدك مع.. مع هذا الشخص والذهاب إلى مراسيم الدفن. يمكنك اللحاق به فيما بعد.

- هذا غير ممكن يا باندیا! سيعود جورج إلى المنزل يوم الجمعة. لا أريد تفويت فرصة لقاء ايفور.

ومدّت سيلين يدها وأمسكت بيد أختها راجية. فكان لهذه الحركة أكبر الأثر في قلب باندیا فنظرت ملياً إلى توأمتها دون أن تنبس ببنت شفة:

- أرجوك يا عزيزتي. لقد كنت تحبينني كثيراً عندما كنت صغيرة فلا

تتبدلي بهذه السرعة وبهذه الطريقة. ساعديني كي أكون سعيدة ولو لبضعة أيام.

ودون سماع جواب أختها اضافت:

- إنني لا أطلب منك شيئاً مستحيلاً. لا أريد أن أخيب ظن ايفور.

وتأثرت باندیا بلهجة شقيقتها الراجية فأخذت بيدها وقالت:

- سأحاول. رغم أنني غير مقتنعة بكل ما سأقوم به. ولا تلوميني إذا ما أخفقت في القيام بهذه المهمة.

- ستكونين على مستوى المسؤولية يا باندیا إنني متيقنة من ذلك إنني حقاً سعيدة.. شكراً لك يا أختاه.. شكراً لك.

وضغطت سيلين على يد أختها قبل أن تتركها وقالت:

- حسناً علينا الانطلاق إلى لندن فوراً!

- هل أرافقك الآن؟

- طبعاً! فلدينا أشياء كثيرة نقوم بها عند وصولنا إلى لينبورن هاوس. سأتركك هناك وانطلق إلى لندن.

ونهضت باندیا وأحست بنوع من الدوار في رأسها فهي لا تكاد تصدق نفسها وتساءلت في نفسها «كيف لي أن أقوم بمثل هذه الحماقة. سأقوم بهذه المجازفة مهما كلف الأمر وسأساعد سيلين مهما كانت العواقب».

- لقد كنت دائماً فخورة بأصلك المجري يا باندیا! ها هي المغامرة

تقدم نفسها إليك وتذكري ما كان يردده ابي دائماً «إن المجري لا يرفض أبداً التحدي».

- صحيح، أجابت باندیا، لقد كان بطلاً شجاعاً أيام شبابه.

- انك تشبهينه كثيراً يا باندیا:

وتركت سيلين الغرفة وتوجهت بخطى ثابتة نحو مدخل الباب. فقد حصلت مرة أخرى على ما كانت تصبو إليه وأجبرت شقيقتها على قبول طلبها.

وعند وصولها إلى بهو المنزل سألتها باندیا:

- أتريدين حقاً أن اذهب معك الآن؟

- طبعاً! لقد نظمت كل شيء فأحضرت كل ما يلزم لكي تتنكري بطريقة يصعب على الخدم التعرف عليك قبل تبادل الأدوار.

لم تفهم باندیا جيداً ما قصد أختها فلا مجال لتتراجع عن قرارها فصعدت إلى غرفتها لتحضر معطفها. وفي هذه الأثناء دخلت عليها سيلين حاملة علبة في يدها.

- عذراً يا سيلين فأنا لا املك إلا هذا المعطف فقد اشتريته خصيصاً لحضور دفن والدي.

- إنه من النوع الرخيص الثمن. لكن هذا ما يلزمك بالضبط الآن، وهذا ما ستضعينه فوق رأسك.

وفتحت سيلين العلبة الصغيرة وأخرجت منها قبعة سوداء يتدلى منها خمار أسود شفاف ومدتها إلى باندیا.

www.elromancia.com

فوجئت الفتاة لكنها ما لبثت أن اخذت القبعة ووضعتها فوق رأسها فأخفى الخمار القسم الأكبر من وجهها. فقد كانت قبعة الأرامل هذه أفضل وسيلة للتنكر.

- لقد طلبت من الحوذي أن يحضر العربة وينتظرنا أمام الباب. هيا بنا سريعاً، لا أريد أن تعلم ناني بالأمر فأخاف أن تتحدث إلى الخادم. حاولي إبقاء رأسك مطاطاً فلا يراه الخادم. وافعلي نفس الشيء فور وصولنا إلى لينبورن هاوس.

- ما الذي ساحتاج إليه هناك؟ - سألت باندیا.

- لا شيء أبداً ستلبسين أثوابي في لندن وستقدم إليك خادمتي كل ما تحتاجين إليه.

- خادمتك؟ سألت باندیا بدهشة. هل تعلم أننا سنتبادل الادوار.

- طبعاً! أجابت سيلين. انها الشخص الوحيد الذي أثق به هناك وضحكت قبل أن تضيف:

- إن ايفيت فرنسية ولدى الفرنسيات دائماً مساعد أو شريك في قضاياهن العاطفية. فهي تعرف تماماً ما يجب القيام به.

- هي التي تساعدك في مشاكلك العاطفية؟

- اجل هذا هو دور إيفيت انها الشخص الوحيد الذي يعرف أنك لست «انا» وستساعدك في كل ما تحتاجين إليه.

ولاحظت سيلين تعابير الخوف في عيني باندیا فاضافت مطمئنة:

- لن تلاقي اية صعوبة. أسرعي الآن ولا تضيعي الوقت. علي ان أعود إلى لندن في أسرع وقت ممكن.

- هل ستلحقين به اليوم؟ سألت باندیا.

- أعتقد ذلك. أجابت سيلين. فقد سافر جورج إلى باريس اليوم ولا أريد أن اضيع دقيقة واحدة من الوقت الذي يمكن ان أمضيه برفقة ايفور.

وجلست باندیا أمام المرآة فهندست القبعة فوق رأسها وأسدلت الخمار فوق وجهها فتقدمت منها سيلين ووضعت المعطف فوق كتفيها واستعجلتها قائلة:

- لننزل الآن يا باندیا فالعربة في انتظارنا أمام الباب. حاولي أن تقولي شيئاً ما أمام الخادم والحوذي قولي مثلاً: «آه كم هي جميلة هذه العربة. هذا لطف منك يا سيدتي ان تسمحي لي بمرافقتك إلى لندن في هذه العربة المريحة وفي هذا الطقس القارس».

- حسناً قالت باندیا. وأضافت قائلة:

- لقد درست الخطة بكل دقة يا سيلين إن ذلك يذكرني أيام طفولتنا. كنت تحبين المغامرة وتضعين أفضل السيناريوهات.

- إنني فخورة بهذا يا باندیا. هيا بنا الآن.

- اود أن أودع ناني قبل سفري.

- قولي لها فقط إنك ذاهبة لقضاء يومين في لندن برفقتي. فليس

www.elromancia.com

لدينا الوقت الكافي للإجابة على كل اسئلتها وإلا فلن ننطلق إلا بعد ساعات فأنت تعرفين فضولية ناني.

- لا تقولي هذا يا سيلين. إن ناني قامت بتربيتك فقد اهتمت بنا بكل صبر وتفانٍ.

لم تجب سيلين وتوجهت نحو الباب الخارجي فقبضت باندیا على يدها وجرتها قائلة:

- لن تسافري قبل إلقاء التحية على ناني. سيؤلمها قدومك إلى المنزل دون السلام عليها. إنه أقل ما يمكن أن تقومي به يا سيلين.

- اف. حسناً! سأذهب للسلام عليها وسأشرح لها بنفسي سبب سفرك المفاجيء معي.

ونظرت إلى شقيقتها قائلة:

- ارفعي الخمار عن وجهك يا باندیا. فلا أريد أن تشك ناني بأي شيء. إنك تبدين كالأرملة.

- لا طبعاً! أنا أيضاً لا أريد ان تشك ناني بالأمر.

ودخلت التوأمتان إلى المطبخ فتسمرت ناني في مكانها. وما لبثت أن وضعت الإناء الذي كان بين يديها فوق الطاولة وصاحت:

- الآنسة سيلين! تبدين كالغريبة في هذه الثياب الأنيقة.

- طبعاً يا ناني! فقد حصلت على كل ما كنت أتمناه.

- لم تتبدلي كثيراً، قالت لها وهي تتفحصها من رأسها حتى أخمص

قدميها. رغم أناقتك وتسريحة شعرك الجديدة فلا زلت تشبهين باندیا بشكل غريب. أرجو أن تكوني سعيدة في حياتك الآن.

- إنني سعيدة جداً يا ناني. وسأصطحب معي باندیا لعدة أيام إلى لندن علّها ترفّه عن نفسها قليلاً من هذه الحياة المعزولة التي تعيشها في القرية خاصة وأن والدي قد توفي الآن.

- كان يجدر بك أن تلبسي الحداد يا سيلين وتحضري مراسيم دفن والدك - قالت ناني معاتبة -.

- أجل! أجابت سيلين وهي تنظر إلى الأرض.. ظروف قاهرة منعتني من المجيء البارحة. أرجو أن تسامحيني كما فعلت باندیا من قبلك.

ونظرت ناني إلى باندیا لأول مرة منذ دخولها المطبخ وصاحت:

- ما الذي تضعينه فوق رأسك يا باندیا؟ إنها ليست نفس القبعة التي كنت تضعينها البارحة؟

- أجل! إن هذه القبعة سترد عنها البرد خلال السفر، أجابت سيلين بسرعة إنقاذاً للموقف. لدي في العربة أيضاً غطاء كبير فلا تخافي عليها من البرد.

- حاولي الاهتمام بأختك قليلاً يا سيلين. أجابت المرأة العجوز. فلم ترسلي حتى رسالة واحدة لطمأنتنا عليك ولم تبعثي ولو هدية بمناسبة عيد الميلاد.

www.elromancia.com

ـ لقد اخطأت كثيراً! أجابت سيلين. ستأتي معي باندیا الآن وسأحاول تعويض ما فات.

ـ إنها بحاجة إلى كثير من العناية! أجابت ناني بلهجة آمرة فهي بحاجة إلى بعض الأثواب الجديدة، فهي تلبس أثواباً رثة منذ سنوات ويبدو أن أحوالك المادية جيدة في لندن. فلا تبخلي عليها.

ـ إنك على حق يا ناني، ستعود باندیا بحلة جديدة وسأشرف على ذلك بنفسي.

ونظرت سيلين إلى الساعة الكبيرة المعلقة في الحائط وصاحت:

ـ هيا بنا بسرعة يا باندیا. يجب أن نقطع مسافة طويلة قبل الوصول إلى لندن فأنا لا أحب السفر في الليل.

ـ طبعاً، أجابت باندیا، هيا بنا.

وطبعت هذه الأخيرة قبلة على خد ناني العجوز وانسحبت قائلة:

ـ اهتمي بنفسك أثناء غيابي يا ناني. فلن أمكث طويلاً في لندن.

لم تقبل سيلين المرأة العجوز بل رفعت يدها مودعة قائلة:

ـ إلى اللقاء يا ناني. لقد سعدت حقاً برؤيتك.

واجتازت الفتاتان مدخل الدار بسرعة وساعدهما الخادم في ركوب العربة وتغطت التوأمتان بالغطاء الصوفي وانطلقت العربة نحو لندن.

ـ لقد هرمت ناني، قالت سيلين بعد دقائق من انطلاق العربة، لن تشك أبداً في أمر سفرك يا باندیا.

ـ لست أدري ما الذي كان سيحل بنا بدونها. لقد عاونتنا كثيراً بعد مرض والدي ووالدتي. إنها حقاً في منتهى الانسانية.

وتهدج صوت باندیا، وتذكرت فجأة كم كانت تحب سيلين عندما كانت صغيرة. كانت تشعر في بعض الأوقات أنها تفضل سيلين عليها. وأسفت في قرارة نفسها لتصرفات سيلين ونكرانها جميل المرأة العجوز التي ربتها وعاملتها كابنتها.

ـ انني لا أحتمل العيش مع العَجَزَة، قالت سيلين فالحياة مملة إلى جانبهم.

وهنا سألتها باندیا:

ـ كم عمر زوجك؟ لقد سبق وقلت لي إنه يكبرك سناً أليس كذلك؟

ولمعت عينا سيلين غضباً فلم يعجبها سؤال أختها هذا فجاوبت مرغمة:

ـ عمر جورج ٦٠ عاماً.

ـ ٦٠ عاماً! ما الذي دفعك إلى الزواج منه؟

ـ لا تكوني حمقاء يا باندیا! أجابت سيلين. أتعتقدين ان الزواج برجل في مكانة جورج الاجتماعية ومركزه الحكومي وحالته المادية أمر سهل. ليس لديه أي وريث في الوقت الحاضر. لقد كانت فرصة العمر بالنسبة إليّ فرصة الالتقاء برجل بمركز جورج.

ـ لكنه يكبرك سناً!

www.elromancia.com

- أعرف ذلك. وقد كنت أعتقد أن ذلك ليس بذات أهمية أبداً إلى أن التقيت بايفور.

- ومن هو ايفور هذا؟

- إنك فضولية أكثر من اللازم يا باندیا. قالت سيلين، لن أقول لك اسمه الكامل. أخاف ان يفتضح أمرنا. قد تقولين شيئاً ما أمام جورج أو الخدم فتثيرين شكوكهم.

- سيلين! أتظنينني قادرة على إيذائك؟ صاحت بها باندیا غاضبة. سأعمل على مساعدتك هذه المرة وسأختفي بعدها إلى الأبد في البلدة وسأحافظ على سرك مهما كان الثمن.

- حقاً! قالت سيلين. لكن عندما يتعلق الأمر بايفور فإنني اخاف حتى من خيالي. كل ما يمكنني أن أقوله لك إنه من اصل روسي وهو أمير جذاب ذو حظوة كبيرة لدى النساء.

وضحكت باندیا لملاحظة أختها الأخيرة.

- لكنه يحبني، أضافت سيلين، لقد قال لي إنه لم يحب امرأة من قبل كما يحبني.

- لكنك للأسف! أسرعت بالزواج من الكونت وإلا لكان ايفور من نصيبك.

وادارت سيلين رأسها نحو أختها وضحكت طويلاً قبل أن تجيب:

- آه! مسكينة أنت يا باندیا. إنك حقاً ساذجة إن ايفور متزوج ولحسن الحظ أن زوجته تقيم في روسيا.

لم تصدق باندیا ما سمعت فلزمت الصمت بضع دقائق وقالت:

- انني حقاً ساذجة يا سيلين! قالت بلهجة ساخرة. إنني اتصور موقف والدينا منك فلو كانا على قيد الحياة لكانت والدتي أصيبت بصدمة كبيرة.

- هل كنت تتوقعين أن أتصرف مثل والدتي فاهرب معه مهما كلف الأمر. انك لا تعرفينني جيداً. أردفت سيلين، فأنا لا أحب الفضائح كما أنني اعرف جيداً ما هو مصير المرأة المطلقة في مجتمعاتنا فأفضل الموت على أن أنعت بالمطلقة.

وأحست باندیا بالاختناق لاعترافات شقيقتها هذه.

- وبما أنك لا تحبين الفضائح ما الذي يدفعك إلى كل هذه المخاطرة؟ سألتها باندیا.

- لن يكون هناك أية مخاطرة، أكدت سيلين، فبفضل مساعدتك ستحضرين غداً مراسيم الدفن فلن يشك اي كان ولو دقيقة واحدة أنني في نفس الوقت في لندن. فيمكنني البقاء بالقرب من ايفور اليوم مساء وغداً الخميس إذ إن جورج سيعود من باريس يوم الجمعة.

- لا أريد أن يراني جورج، قالت باندیا بخوف، فلا بد أن يشك زوجك في الأمر فيلاحظ بعض الفروقات بيننا.

- لن يلاحظ أي شيء، أكدت سيلين، فلم يستطع احد من قبل التفريق بيننا.

وفكرت باندیا لحظة ثم قالت:

ـ لقد كنت يوماً اتحدث مع والدي حول التوائم فقد اخبرني قصة كاستور وبولوكس التوأمين اليونانيين .

ـ لقد كانت كل قصص والدي مملة ـ أجابت سيلين بحدة.

واضافت باندیا دون أن تعير أي اهتمام لملاحظة اختها:

ـ قد قلت لوالدي يومها، إنه عندما تتشابه التوأمتان بالشكل الذي نتشابه به يمكنهما ان يقوما بألاعيب كثيرة دون ان يتمكن أي شخص من تفريق الواحدة من الأخرى.

ـ هذا بالضبط ما أحاول ان أفهمك واقنعك به يا باندیا! أجابت سيلين فاقدة الصبر.

ـ وقد أجابني والدي ، أردفت باندیا، إن الشخص الوحيد الذي لا يمكنه أن يخطىء في التفريق بين التوأمتين هو الشخص الذي يحب إحداهما فإنه يتعرف على حبيبته مهما كان الشبه بينهما صارخاً.

ـ لا أصدق شيئاً من كل هذا.

ـ لنفرض مثلاً أنني ذهبت بدلاً عنك إلى موعدك في لندن. هل تعتقدين بان ايفور سيلاحظ اي فرق بيننا؟

وفكرت سيلين لحظة:

ـ لست ادري . لكني أكيدة أن جورج لن يلاحظ أي تغيير. أما بالنسبة إلى ايفور فلست أدري.

ـ هل يعني ذلك أنه لا يحبك ؟

ـ ليس بنفس الطريقة. فقد مضت فترة طويلة على زواجنا ولا تنسي أن جورج يكبر ايفور سناً.

وتأكدت باندیا ان شقيقتها قبلت الزواج من جورج طمعاً بثروته فقط فهي لن تعرف معه لا الحب ولا السعادة. وتأسفت لوضعية شقيقتها هذه.

ولم تتمكن سيلين من كبح رغبتها في التحدث عن ايفور كما كانت تفعل سابقاً. لكنها هذه المرة لم تتحدث إلا عن إيفور.

ـ لقد تعرفت عليه في لندن، قالت سيلين، وعندما صعدت إلى العربة تتالت ضربات قلبي فيما كنت أنظر إليه وهو يبتعد. فهمت على الفور انه الرجل الذي كنت أحلم به في صغري حتى قبل أن أترك المنزل يا باندیا.

ـ هل شعر هو أيضاً بنفس الشعور نحوك؟ سألتها شقيقتها.

ـ طبعاً ! فقد قال لي انه عندما رآني لأول مرة في الحفلة الراقصة في قصر ديفونشير شعر أنني مختلفة وتساءل في نفسه عمّا اذا كنت فتاة عادية أم حورية من الحوريات .

ـ لقد كان والدي يحدثنا عن الخرافات والعجائب .

ـ لو حدثنا والدي عن الأمراء والملوك الذين يشبهون ايفور لوجدت حديثه مسليًا ولتشوقت الى سماع دروس اللغة اليونانية .اجابت سيلين ضاحكة ، لكن قصص والدي كانت حقاً مملة .

www.elromancia.com

وفضلت باندیا عدم الاحتجاج على كلام شقيقتها فلن يجدي ذلك نفعاً. فقد كانت باندیا تجد متعة خاصة في سماع احاديث والدها المشوقة حول الفلسفة وروحانيات اليونان القديمة، فكانت مصدر الهام بالنسبة إليها. كانت تتمنى أن تشاركها أختها هذه اللذة في سماع القصص التاريخية والأسطورية لكن سيلين كانت لا تهتم بكل هذا، وسألت والدها ذات مرة:

- كيف لي أن أقنع سيلين أن كل ما تقصه علينا مشوق ورائع. إن الحضارة الإغريقية العريقة غيرت طرق تفكير ومفاهيم وفلسفة العالم المتحضر بأجمعه.

- لا يمكنك عمل أي شيء، أجابها والدها بكل هدوء، ويجب أن تفهمي جيداً يا عزيزتي أنه لا يمكن أن تطلبي من شخص أكثر من قدرته على العطاء فلا تنتظري منه الكثير.

فكرت يومها باندیا ملياً بالطريقة التي أجابها بها والدها. فقد كان على حق وكانت تعرف ذلك. فقد عرفت منذ سنوات بأن سيلين لن تتبدل فلا يمكن أن تطلب منها أن تحب أشياء أو أن تعجب بحديث لا يعني لها شيئاً. كانت باندیا تحس بروعة ومجد الشعب الإغريقي بينما كانت سيلين تشعر بروعة الحياة في لندن. فلا مجال أبداً لتقريب وجهات النظر فالتباين شديد جداً بينهما.

فقد كانت تشارك والدها في أحاسيسه وكانت تحب المطالعة وقراءة

تاريخ الشعوب وتحب الأدب والشعر فيما كانت ترى سيلين في ذلك مؤامرة غريبة تجمع والدها بشقيقتها.

وفيما كانت باندیا شاردة الأفكار تفكر في والدها. كانت سيلين تتابع حديثها عن ايفور:

- إنني أحبه يا باندیا، أريد أن أكون أجمل امرأة في لندن فلا يجرؤ على إبعاد نظراته عني. أود أن أكون محور اهتمامه فأملأ تفكيره وحياته.

- إنني متيقنة أنك من أجمل فتيات لندن يا عزيزتي. أجابت باندیا فلا داعي للقلق من هذه الناحية أبداً.

- أرجو ذلك! أجابت بكل ثقة. حاولي أن تكوني جميلة يا باندیا.. إنني أستقطب كل الأنظار في أي مكان أتواجد فيه.

- إن ذلك لن يكون لائقاً في مراسيم الدفن. أجابت باندیا بغضب.

- آه ليتك تسمعين كل الكلمات الحلوة التي يقولها لي ايفور! قالت سيلين متجاهلة جواب شقيقتها.

- إنه يطلق علي اسم «قلب قلبه» ويشبهني بالنجمة الساطعة التي نزلت لتوها من السماء.

كان في لهجتها كثير من الحرارة والحب.

- لا أريد أن أفقده يا باندیا! لن أرحم أبداً من يحاول الاستيلاء عليه وسأقتل المرأة التي تتجرأ على فعل ذلك.

- سيلين، ما الذي تقولينه؟

- إنه دمي المجري الذي يدفعني إلى قول ذلك. إنها غلطة والدتي، فقد فضلت المجري على ابن بلادها الانجليزي. فلو تزوجت انجليزياً لولدت فتيات هادئات وديعات يسهل التأثير فيهن.

- لما كانت ولدت توأمتين على هذا القدر من الجمال. أجابت باندیا.

- قد تكونين على حق. إنها المرة الوحيدة التي أشعر فيها بأنني استفدت من والدي.

وقبل أن تجيب باندیا أردفت قائلة:

- لقد كنت أكرهه في صغري فقد هربت والدتي معه، فحرمنا ذلك من حمل لقب جدي وحرمنا من العيش في نعيم. فقد فضلت العيش مع زوج مجري على العيش في محيط نبيل إلى جانب جدي.

- إنني لا أفهم عدم قدرتك على تقدير والدي فقد كان رجلاً جذاباً، عالماً ذكياً، قالت باندیا، أعتقد أنني لن التقي أبداً برجل يوازيه فطنة وذكاء لذلك فلن أتزوج أبداً.

- إنك حقاً حمقاء. هل تنوين قضاء حياتك وحيدة. إن نانسي لن تمكث معك إلى الأبد.

- إنك على حق. أجابت باندیا.

وساد الصمت عدة لحظات ثم أضافت:

- كنت أتخيل نفسي في دارك في بعض الأحيان فتقدمينني لضيوفك.

كانت تتكلم وكأنها تحلم فعبرت عما كانت تتخيله دون أن تشعر بذلك.

وصاحت سيلين بصوت عال:

- إن ذلك لا يمكن أن يحصل أبداً، أبداً! لقد شرحت لك أنك بالنسبة إلى معارفي في لندن في عداد الأموات. إنك غير موجودة.. إنك ميتة يا باندیا أرجو ألا تنسي ذلك أبداً.

واستعادت أنفاسها وأضافت:

- لا بد أن تتعرفي على مزارع في القرية أو أي شخص آخر يتزوجك، إنني على يقين من أن الحياة في المزرعة ستروقك كثيراً. لم تكوني يوماً طموحة يا باندیا، وستلاقين كل ما تتمنين في القرية.

وشعرت باندیا برغبة شديدة بالعودة إلى منزلها بعد الكلمات الجارحة التي سمعتها من أختها. واحست بضخامة الخطأ الذي ارتكبته فقد سمحت لسيلين أن تلعب بها كما تشاء خدمة لمصالحها الخاصة وأنانيتها العمياء.

فلم تكن سيلين تشعر بأية عاطفة نحوها بل كانت تستغل محبة باندیا لها من أجل إرضاء شهواتها والدليل على ذلك أنها لم تلجأ إليها ولم تسأل عنها إلا عندما أحست أنها بحاجة إليها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى نانسي المربية. فرغم تفاني هذه المرأة في تربيتها والسهر على راحتها فهي لا تكن لها الآن سوى البغض والكراهية وعدم الاكتراث.

www.elromancia.com

ما الذي دعاني إلى الموافقة على هذه المهزلة الساخرة؟ تساءلت سيلين في نفسها.

ففي الواقع ، أن باندیا كانت تحب توأمتها سيلين بكل جوارحها ولم تغير عاطفتها نحوها رغم جحود شقيقتها وتصرفاتها النابية كانت تشعر باندیا بوجود رباط أو وثاق يربطها بسيلين، لا تقوى لا الكراهية ولا الخبث ولا حتى الفظاظة على حله.

فقد ولدتا في نفس اليوم والساعة، وتحت نفس الأبراج السماوية وستبقيان مرتبطتين إلى الأبد بوثاق روحي غريب لا تحله أية قوة في العالم حتى ولو اضطرتا للعيش متباعدتين.

وبقيت باندیا شاردة الأفكار عاقدة الجبين فترة طويلة. ونظرت إليها سيلين وأحست انها قد جرحت شعور أختها بصراحتها فقالت:

ـ لا داعي للتفكير بالمستقبل يا باندیا. حاولي التمتع في هذه اللحظات التي تمضيها سوية كما في السابق.

وفهمت باندیا أن سيلين تحاول تهدئتها بعد أن أثارت غيظها. فقد كانت باندیا بطبيعتها الهادئة لا تحب المشاكل والمواقف المتوترة ففضلت تجاهل الموضوع فلن يجدي نفعاً غضبها الآن فقد اقدمت على خطوة لن تقوى على التراجع عنها بهذه السهولة.

ـ لا يمكنك أن تتصوري يا سيلين كم اشتقت إليك طوال هذه السنوات الثلاث. كنت أتوق لرؤيتك والتحدث إليك. قالت باندیا

بصوت هادىء. حدثيني عنك. فيمكنني أن أتخيل حياتك عندما ينتهي كل شيء...

ولم تكن سيلين بحاجة إلى تشجيع للتحدث عن حياتها. فبدأت بالحديث عن زوجها الذي يغدق عليها الأموال والهدايا والمجوهرات كما حدثتها عن الممتلكات والأراضي الشاسعة التي يمتلكها.

ـ لديه بعض الأهواء والطباع الصعبة ككل الرجال عندما يكبرون في السن. همه الوحيد في هذه الحياة هو ان يرزق بولد فلو أعطيته هذا الوريث لغطاني بالماس من رأسي حتى قدمي.

وتنهدت سيلين بعمق وقالت:

ـ كما وعدني في ان يكتب باسمي مبلغاً كبيراً من المال في حالة وفاته فأصبح من الأغنياء. أي أرملة غنية.

ـ لم لا تريدين الطفل يا سيلين! سألت باندیا بحياء.

وأحست أن شقيقتها تتهرب من الإجابة. لكن سيلين شعرت بنوع من الارتياح في اثنان سرها لأختها.

ـ لست أدري يا باندیا، في الحقيقة، لست ادري. فقد حان الوقت كي أرزق بطفل لكنني خائفة، فإن جورج يكبرني كثيراً بالسن.

لقد قال لي ذات مرة والدي ان التوأمتين الحقيقيتين لا يمكن ان ترزقا بالأطفال. قالت باندیا بلهجة مترددة.

- سمعت ذلك أيضاً. أجابت سيلين. وقد استشرت أحد الأطباء بالأمر دون علم جورج. إنه طبيب الملكة فيكتوريا.

- ماذا قال لك؟

- إن ذلك مجرد إشاعات، وقال لي إنه مستعد لأن يقدم لي ويعرفني على عدة توائم أنجبن أطفالاً بشكل عادي جداً.

وانخفض صوت سيلين فجأة وهمست:

- عديني بألاّ تتحدثي في هذا الموضوع أمام أحد فقد أكد لي الطبيب بعد الفحص الطبي أنني لا أشكو من أي شيء ويمكنني إنجاب دزينة من الأطفال.

- إنني سعيدة بذلك. حقاً سعيدة أجابت باندیا.

وربطت باندیا فجأة بين موضوع الأطفال وعلاقة سيلين بايفور وسألت:

- ألا تخشين يا سيلين . . . أن تخلق لك علاقتك بعض المشاكل في هذا المجال.

وهزت سيلين رأسها وأجابت بنوع من التحدي:

- ما المشكل في ذلك! كل ما يهمني هو أن أرزق بطفل. . وسيسعد جورج بذلك ولن يشك لحظة في الموضوع.

وصمتت باندیا بصراحة شقيقتها بل حتى بوقاحتها. وظهر لها العالم فجأة مختلفاً تماماً عما كانت تتصور. فلم تصدق يوماً بوجود

أشخاص يعيشون بمثل هذه الطريقة الغريبة واللاأخلاقية. والمفجع هو أن توأمتها من هذا النوع من الناس. كانت تظن أن سفلة القوم وحدهم كانوا يعيشون هذا النمط من الحياة.

فقد كانت باندیا تستغرب بشدة هذه القصص والتصرفات بشكل عام. لقد كانت تحلم بالحياة المثالية والاخلاص في الحياة الزوجية وتستهجن كل عمل ينمّ عن لا أخلاقية وانفلات من المجتمع الذي تعيش فيه.

كان كل ذلك بالنسبة الى باندیا نوعاً من الحياة التافهة التي تشعرها بالاشمئزاز من تصرفات هؤلاء الناس. وها هي شقيقتها في الحياة الحقيقية تتصرف مثل أي واحد منهم.

فقد كانت باندیا تجد أختها باهرة الجمال، وغالباً ما كانت تطلق عليها اسم القمر.

«هل تعرف السعادة يوماً؟» تساءلت في سرها.

وأكملت سيلين الحديث عن ايفور بكثير من الحماسة دون أن تلحظ شرود أفكار شقيقتها.

www.elromancia.com

٣

كانت لينبورن هاوس التي تقع في غروسفينور سكوار إقامة ضخمة وفخمة. فور دخولها إلى البهو المرمري الكبير أحست باندیا برغبة شديدة في زيارة كل قاعات الاستقبال.

لكن سيلين حثتها على صعود السلم المؤدي إلى غرفتها. وكما توقعت الفتاة كانت غرفة سيلين غرفة جميلة رحبة وأنيقة. تحتوي على سرير كبير زين بستائر من الحرير وخزانة خشبية ضخمة.

وما إن اغلقت الباب حتى قالت لها:

- يمكنك نزع الخمار الآن . إياك أن يراك أحد غير ايفيت!

- إنه منزل كبير جداً، قالت باندیا، لا شك أن قاعات الاستقبال رائعة.

- يمكنني استقبال مئة شخص دفعة واحدة وبكل سهولة في هذا المنزل، قالت سيلين بكل فخر. تعالي وانظري إلى خلوتي الصغيرة.

وفتحت سيلين أحد الأبواب ودخلتا إلى غرفة متوسطة الطول والعرض ذات أثاث فخم. غطت الستائر الحريرية كل جدران الغرفة وتوزعت فيها الأرائك هنا وهناك وضعت عليها طنافس حريرية متعددة الألوان والأشكال. واسترعى انتباه باندیا تلك الزهرية من الورود الطبيعية النادرة الموضوعة فوق إحدى الطاولات وسط الغرفة. كانت تحتوي على أزهار من القرنفل الأحمر والياسمين الأبيض. وتساءلت باندیا في نفسها عن المبالغ الطائلة التي صرفت من أجل الحصول على هذه الأزهار في فصل الشتاء، في الوقت الذي تعرف هي وناني المربية مشاكل مادية حادة. ومرة أخرى تذكرت كلمات والدها الذي كان يردد دائماً انه لا يمكن أن ننتظر من الغير أكثر من قدرتهم على العطاء. كان ذلك يطبق بشكل صارخ على سيلين ، فقد تجاهلت وجود أهلها دفعة واحدة إلى اليوم الذي احتاجت شقيقتها.

«أرجو ألا يكون والدي قد شعر بعدم اكتراث سيلين بوجوده»، قالت باندیا في نفسها.

«سيبقى والدي دائماً موجوداً وحياً في مخيلتي» «لا شك أن والدي كان يشعر بهذه اللامبالاة وهذا التجاهل الذي كانت تظهره سيلين نحوه، لكنه كان ذا قلب كبير وكان يحب سيلين فيتغاضى عن كل تصرفاتها ويصفح عنها».

- أرأيت هذه اللوحة الزيتية؟ قالت لها سيلين مشيرة إلى إحدى اللوحات المعلقة في الحائط.

- لقد اشتراها لي جورج في آخر رحلة قام بها إلى باريس أنها للرسام الشهير بوشي، دفع ثمنها آلاف الجنيهات.

- آه! إنها رائعة، أجابت باندیا، إنها المرة الأولى التي أشاهد فيها عن كثب لوحة زيتية نادرة.

قالت سيلين وهي تشير إلى باب احدى الغرف:

- هذه غرفة جورج. فقد أعاد صياغتها وديكورها بعد زواجنا وقد قمت باختيار الستائر. أما السجادة والثريا فقد اشتريتها من مدينة البندقية في ايطاليا.

- إنك حقاً رفيعة الذوق! قالت لها باندیا.

فرحت سيلين بملاحظة شقيقتها فادارت وجهها نحوها مبتسمة كما كانت تفعل في طفولتها.

مع سماع اقتراب الخطوات من الغرفة قالت:

- إنها ايفيت! علينا القيام بأشياء كثيرة الآن.

ودخلت ايفيت المربية الفرنسية الصغيرة إلى الغرفة، ونظرت بدهشة إلى التوأمتين وصاحت باللغة الفرنسية:

- انه لأمر غريب حقاً.. لم أكن اتصور يوماً أن يتشابه شخصان بهذه الطريقة.

- لن يقوى احدى على التفريق بيننا يا ايفيت، قالت سيلين، من الذي سيشك لحظة واحدة أن شخصاً آخر غير سيلين يحضر مراسيم الدفن؟

- لا هذا غير معقول! لن يشك أحد بالأمر يا سيدتي. أجابت ايفيت.

- حسناً! أين هي ثيابي؟ علي أن ألبس هذا المعطف الذي كانت تلبسه باندیا عند دخولها إلى المنزل.

- طبعاً يا سيدتي، أجابت إيفيت، لقد رتبت ثيابك في هذه الحقيبة تجدين في داخلها كل ما تحتاجين إليه. سيبدو الأمر وكأنك تكرمت على هذه المرأة الفقيرة ببعض الثياب القديمة.

وقهقهت سيلين وقالت:

- هذه المرأة الفقيرة! إنك حقاً ماكرة يا ايفيت! أرأيت يا باندیا لا يمكنني الاستغناء عنها أبداً.

- هل ترغب سيدتي في نزع ثيابها والاستلقاء قليلاً في الفراش فترتاح من عناء السفر؟ سألت إيفيت وهي تنظر إلى باندیا.

- لقد قلت للخدم إنك ترغبين في تناول العشاء في غرفتك، ذلك انك تشعرين بالتعب بعد هذه الرحلة الطويلة، أضافت.

لم تجب باندیا فكل شيء مدروس بدقة ولا فائدة من إعطاء رأيها.

- سألبس قبعتك يا باندیا، قالت سيلين، قبعة الأرملة، علني أصبح ارملة عما قريب.

وصدمت باندیا بكلمات أختها التي تتمنى موت زوجها بكل بساطة، ففضلت عدم التعليق على ما قالت فلن يجدي ذلك نفعاً. فنزعت القبعة عن رأسها ووضعتها فوق الطاولة.

وخلعت سيلين بدورها الثوب الحريري الأزرق وبعد أن اغتسلت قليلاً ساعدتها إيفيت في ارتداء ثوب أسود يشبه إلى حد ما الثوب الذي كانت ترتديه باندیا. يبدو ذلك للوهلة الأولى، لكن فستان سيلين كان من الحرير الأصلي يساوي ثمنه مئة مرة الثوب الأسود الرث الذي كانت تلبسه باندیا.

وعندما أنهت سيلين زينتها وتسريح شعرها شعرت باندیا وكأنها تنظر إلى نفسها في المرآة في حلة جديدة. نفس لون الشعر الأحمر ولون البشرة الأبيض والعينين الخضراوين ونفس الطول. فقد كانتا متشابهتين في كل شيء. وأضفى اللون الأسود سحراً خاصاً على جمال سيلين. وعندما انتهت إيفيت من ترتيب هندامها صاحت باندیا قائلة:

- إنك رائعة.

- إن جورج لا يحب أن البس اللون الاسود، إنه شديد الغيرة. لكن ايفور يعبد ذلك.

وشعرت باندیا بنوع من الارتباك عند سماع شقيقتها تتحدث بهذه الجرأة عن ايفور وجورج أمام خادمتها. فقالت في نفسها إن ذلك أمر عادي جداً بالنسبة إلى سيلين.

- إن ايفور يحب كل ما ألبس ويحب كل الالوان فلم يرَ امرأة اجمل مني في حياته.

ونظرت إلى إيفيت وأضافت بلهجة غاضبة:

- هيا بنا يا إيفيت لقد أضعت ما فيه الكفاية من الوقت. يجب أن أرحل الآن.

وعاونتها إيفيت في وضع عقد الزمرد حول عنقها. كان ذلك بمثابة اللمسات الأخيرة.

- لقد نسيت الخاتم والحلي يا سيدتي. صاحت إيفيت.

- ضعي كل ذلك في محفظتي يا إيفيت. لن أضع كل هذه الحلي الآن أخشى أن يشك الخدم بالأمر.

- طبعاً! قالت إيفيت، إن العربة بانتظارك يا سيدتي، لقد شرحت للحوذي أن سيدتي تطلب منه اصطحاب المرأة الفقيرة إلى لندن، فلن ندعها تتدبر أمرها في مثل هذا الطقس الرديء.

- لقد درست الخطة بكل جوانبها. إنك حقاً ماكرة وذكية يا إيفيت. أعطني القبعة الآن.

ووضعت القبعة بكل تأنٍ فوق رأسها دون أن يؤثر ذلك في تسريحتها وأسدلت الخمار فوق وجهها وقالت وهي تلبس معطف باندیا:

- إنه معطف بال حقاً! كان يجدر بك أن تلبسي معطفاً أكثر أناقة يا باندیا.

- إنه افضل ما عندي. أجابت باندیا، لقد اشتريته بعد وفاة والدتي.

- إيفيت لا تنسي أن تجهزي بعض المعاطف والأثواب القديمة كي تأخذها باندیا معها.

- حسناً يا سيدتي، أجابت الخادمة وهي تضع الحلى في محفظة من الساتان الأسود.

- احني رأسك جيداً يا سيدتي ! أخاف أن يشك الخدم بالأمر.

- لا تخافي يا إيفيت. سأكون حذرة.

وطبعت سيلين قبلة خاطفة على خد باندیا وقالت:

- ستقلك العربة إلى مكان الدفن غداً تتناولين بعدها طعام الغداء في القصر كما جرت العادة عودي بعدها فوراً إلى المنزل.

- لم تخبريني من قبل أنني سأتناول الغداء في القصر؟ صاحت باندیا.

- لا تكوني حمقاء يا باندیا. ما أهمية ذلك الآن. فلن يتحدث إليك أحد. فالصمت هو سيد الموقف في مثل هذه المناسبات.

- لكنني لا أعرف أحداً هناك؟

- حتى أنا لا أعرف احداً هناك. فقد تجاوز الدوق الـ ٩٠ من العمر، لن يبكيه أحد، فلا داعي لتهيب الموقف، وتصرفي كما تفعل بقية النساء هناك.

أرادت باندیا ان تشرح لسيلين أن الدوق يعتبر أحد أقارب جورج المقربين لكن سيلين لم تفسح لها مجال الكلام وأضافت:

- لا داعي لأن تتحدثي إلى الحاضرين. حاولي أن تكوني بشوشة ولطيفة. وانصرفي في أسرع وقت. ستكون إيفيت بانتظارك هنا تذرعي بالتعب يوم الخميس في الليل وتناولي العشاء في الغرفة.

لقد اعدت سيلين لباندیا برنامجاً مدروساً بدقة. كانت ترغب هذه الأخيرة في القيام بزيارة لندن لأنها المرة الأولى التي تزور بها العاصمة. لكن شقيقتها لن تسمح لها بذلك مهما حدث. فقد جاءت بها من القرية للقيام بمهمة معينة لا يمكن تخطيها.

وفتحت ايفيت الباب امام سيلين قائلة:

- إلى اللقاء يا سيدتي. كيف لي أن أشكرك، فقد كنت في غاية السخاء معي.

وانطلقت سيلين دون تعليق على أقوال ايفيت وراقبتها هذه الأخيرة إلى أن اختفت في السلم. فأغلقت الباب ونظرت إلى باندیا قائلة:

- والان سأهتم بك يا سيدتي.

ونظرت ملياً إلى باندیا مرة أخرى وتعجبت قائلة:

- إنه أمر عجيب يا سيدتي. لم أر في حياتي توأمتين تتشابهان بهذا الشكل جميلتين بهذا القدر أيضاً.

- شكراً! تمتمت باندیا بحياء. لكني خائفة يا إيفيت، أخشى أن يفتضح أمري في هذه المهمة التي أوكلتها إلي سيلين.

- لا داعي للقلق، فالكونت مسافر في باريس. حاولي أن ترتاحي قليلاً من عناء السفر.

www.elromancia.com

ـ سأحاول، قالت باندیا.

وعاونتها ايفيت على نزع ملابسها واكتشفت باندیا ان لسيلين حماماً خاصاً بها.

ـ حمام! صاحت بدهشة. كانت والدتي تخبرنا أن السيدات كنّ يغتسلن في غرفهن بعد تسخين دلاء الماء.

ـ إن هذه الفكرة جاءت من امريكا، أجابت إيفيت، فقد رأت سيدتي سيلين غرفة حمام لدى الدوق مارلبوروغ فاقنعت الكونت في أن يبني لها غرفة مماثلة.

وضحكت باندیا فهي تعرف سيلين جيداً تريد امتلاك كل وسائل الراحة والرفاهية.

كانت غرفة صغيرة جميلة جداً علق على جدرانها الزهرية اللون عدد من المرايا الكبيرة لكي يتسنى لسيلين تأمل جمالها.

كم هو ممتع الغوص في هذا الماء الساخن المعطر! قالت باندیا في سرها وهي تستحم. وأحضرت لها إيفيت أجمل قمصان سيلين كي تلبسه وترقد في الفراش.

واندست باندیا في السرير الكبير ذي الشراشف البيضاء المطرزة والمعطرة وقالت في سرها «آه كم هي مريحة حياة الأمراء!».

وبعد فترة أحضر لها العشاء إلى الغرفة وتمنت لو تتقاسمه مع والدها:

فقد كان معروفاً بذوقه الرفيع وحبه لكل الأشياء اللذيذة والطيبة وكانت والدتها وناني تعملان بكل جهد لارضائه من هذه الناحية فتبتكران أطباقاً غريبة عجيبة من اللحم والخضار.

«لا شك في أن هذا الطبق كان سيعجب والدي» قالت باندیا وهي تتذوق طبقاً من الكبدة وآخر من الطرائد البرية.

ـ لو تناولت مثل هذه الأطباق يومياً لزاد وزني أكثر من النصف! قالت باندیا لايفيت.

ـ إنك نحيلة جداً. إن سيدتي سيلين لا تأكل إجمالاً سوى الخضار لتحافظ على رشاقة جسمها ونحولها، أخشى أن يسبب لها ذلك بعض المشاكل الصحية.

ـ آه إن سيلين تحب الاهتمام بنفسها وخاصة برشاقتها البدنية، لا تخافي عليها فلن تتوانى عن اللجوء إلى الطبيب في حالة شعورها بأي تعب.

وانتهت باندیا من تناول العشاء فأحضرت لها إيفيت كدسة من الجرائد والمجلات من الغرفة الثانية. وكانت المرة الأولى التي تقرأ فيها باندیا أخبار المجتمعات الغنية. ولم تقع عينا باندیا في المجلات النسائية على صورة امرأة توازي بجمالها جمال شقيقتها. فكانت صور سيلين تتصدر هذه المجلات وتمنت لو توافق سيلين على إعطائها البعض منها تأخذه معها إلى القرية.

وأحست مرة أخرى بنوع من الحرقة والمرارة لتنكر شقيقتها لها. لقد

www.elromancia.com

محتها من الوجود دفعة واحدة دون أن تشعر حتى بتأنيب الضمير.

«لست بحاجة لمساعدتها» قالت في نفسها، لديها كل ما يلزم من وسائل الراحة، فما الذي يدعوها للتفكير بشقيقتها في القرية؟ تساءلت باندیا.

أطفأت المصباح وقررت الاسترسال في النوم بعد هذه الرحلة المرهقة وفكرت قبل أن تغمض عينيها بالدور الذي ستلعبه غداً في مراسيم الدفن فأحست بالخوف «ما الذي يحدث لو اكتشف أمري؟ ماذا سيكون مصير سيلين؟ وخافت من وقوع الكارثة فهي لن تخسر شيئاً. إن سيلين هي التي ستتحمل عواقب الكارثة في حال وقوعها».

وفكرت باندیا فجأة بوالدتها وتضرعت إليها قائلة في نفسها:

«أرجوك ساعديني يا أماه. ساعديني على القيام بدوري على أكمل وجه فلا يشك بأمري أحد. فأعود إلى القرية بسلام.

إنني اتوق للعودة إلى حياتي الهانئة بالقرب من ناني. إنني غير قادرة على تحمل كل هذه الأكاذيب والمقالب».

وفكرت أيضاً بوالدها الذي وقف في وجه كل التحديات فأقنع والدتها بعصيان أوامر والديها والزواج منه. وقالت في نفسها «لم لا أكون في شجاعة والدي. لم كل هذا الخوف من مراسيم دفن بسيطة».

واستغرقت أخيراً في النوم وهي تتخيل ضحكة والدها.

***

أيقظت ايفيت باندیا في الصباح الباكر لكي يكون لديها متّسع من الوقت لتصفيف شعرها.

ذلك أن شعر باندیا كان اطول واكثف من شعر شقيقتها فلاقت إيفيت بعض الصعوبة في تسريحه. وما إن انتهت من هذه المهمة حتى شعرت بالرضى عن النفس، فكان الشبه بين التسريحتين متطابقاً للغاية.

ـ لم أنته بعد! قالت إيفيت. إن سيدتي سيلين تضع قليلاً من «البودرة» على وجهها وقليلاً من الكحل في عينيها أثناء غياب المايلورد جورج.

ـ كانت والدتي تقول لي دائماً إن ذلك غير مستحب ولا يليق بسيدة مجتمع محترمة. وإن الماكياج يقتصر على الراقصات والفنانات. أجابت باندیا.

ـ كل النساء يفعلن ذلك خفية الآن فلا يقبلن ان تكون الراقصات والفنانات أكثر جمالاً منهن.

وضحكت باندیا لهذه الملاحظة. وتابعت إيفيت:

ـ فالرجال يبقون رجالاً مهما حدث فلا يقاومون الجمال.

وتساءلت باندیا عما إذا كان جورج ينظر إلى النساء الاخريات، لا يمكن هذا قالت. ان سيلين من أجمل النساء في لندن فلن توازي أية راقصة أو فنانة جمالها. وتذكرت باندیا ما قالته لها سيلين. فقد وقع الكونت في حبها من أول نظرة، هذا أمر طبيعي، قالت في نفسها.

www.elromancia.com

ساورتها أفكار كثيرة غريبة ومتناقضة فيما كانت إيفيت تقوم بوضع اللمسات الأخيرة على ماكياجها، فوضعت قليلاً من أحمر الشفاه على شفتيها وغمامة من المسحوق الأحمر فوق وجنتيها فزادها كل ذلك جمالاً وفتنة.

ونظرت باندیا إلى نفسها في المرآة فادهشها جمالها. كانت تبدو كسيلين بالضبط قبل مغادرتها المنزل البارحة. فهي لم تلبس من قبل مثل هذه الثياب الأنيقة والفخمة، ولم تلبس الحرير المطرز.

كانت تنظر إلى نفسها كمن ينظر إلى شخص غريب عنها.

وأحضرت لها أيفيت عقداً واقراطاً فبادرتها باندیا قائلة:

- أعتقد أنه ليس مستحباً اظهار الحلي في مناسبة دفن.

- ومن قال ذلك يا سيدتي؟ أجابت إيفيت. إنها أفضل مناسبة للتزين بالحلي والجواهر. إن الجواهر ترمز إلى الدموع يا عزيزتي.

لم تقتنع باندیا كثيراً بما جاء على لسان إيفيت وفضلت عدم التعليق على الموضوع.

- انتبهي جيداً يا سيدتي وحافظي على هذه المجوهرات فقد دفع سيدي ثروة طائلة ثمناً لها أضافت إيفيت.

- كوني مطمئنة البال من هذه الناحية يا إيفيت. أجابت باندیا.

وفي هذه الأثناء سمع طرق على باب الغرفة وسألت إيفيت:

- من الطارق؟

- إن عربة سيدتي جاهزة. أجاب الخادم.

وفتحت إيفيت الخزانة وأخرجت معطفاً من الجوخ الأسود ووضعته فوق كتفي باندیا ثم أخرجت قبعة مخملية سوداء مطرزة بنفس الطريقة التي طرز بها الثوب الذي كانت ترتديه الفتاة، ووضعتها فوق رأس باندیا.

- إنني حقاً أنيقة! صاحت باندیا. لكن اين الخمار؟

- إن الأرامل وبنات المتوفى فقط يضعن الخمار، أما أنت يا سيدتي فستذهبين هكذا. ما الذي يدعوك إلى إخفاء هذا الوجه الجميل؟

ودون سماع جواب باندیا فتحت إيفيت باب الغرفة. وخرجت الفتاة وهبطت السلم وشعرت بالارتباك وهي تجتاز بهو المنزل، لكنها اطمأنت عندما رأت الخدم يتصرفون بطريقة عادية جداً فلم ينظر إليها أحد بطريقة غريبة.

ومشت فوق السجادة الحمراء إلى أن وصلت إلى العربة حيث كان أحد الخدم بانتظارها فساعدها على الصعود ووضع الغطاء فوق ركبتيها. فقد كان الطقس قارساً في الخارج فاتكأت باندیا فوق الطنافس الحريرية فوق المقعد وانحنى رئيس الخدم امامها احتراماً وانطلقت الجياد.

بدت العربة لباندیا أصغر بكثير من العربة التي أقلتها وسيلين البارحة لكنها مريحة وأنيقة. كان الدوق يسكن في قصر ويندسور. وتوقعت إيفيت اجتياز المسافة بحوالى الساعة والنصف الساعة لكن

www.elromancia.com

باندیا فضلت الانطلاق قبل ساعتين تحسباً لأي طارىء من مثل هذا الطقس الرديء. خاصة وأن الكنيسة التي ستجري فيها مراسيم الدفن تبعد قليلاً عن القصر.

اجتازت العربة مدينة لندن وبدأت باجتياز الريف. كانت السماء رمادية قاتمة تنذر بتساقط الثلوج بين لحظة وأخرى. ستضطر الجياد في هذه الحالة إلى تخفيف سرعتها، فحمدت باندیا الله على خروجها باكراً من المنزل فهي لا ترغب في إثارة الانتباه في حال وصولها متأخرة.

وانفرجت أساريرها أخيراً عندما أحست بتوقف العربة، فنظرت من النافذة ورأت الكنيسة وعدداً كبيراً من الأشخاص والعربات. فقد وصلت قبل الوقت المحدد بخمس عشرة دقيقة.

وهبطت من العربة فتقدم لاستقبالها رجلان يلبسان بدلتين سوداوين. فصافحها أحدهما قائلاً:

- هذا لطف منك يا سيدتي الكونتيسة أن تحضري لتمثيل زوجك في هذه المناسبة. فقد كتب لي معتذراً وأخبرني بسفره إلى فرنسا.

- إنه يعتذر حقاً عن عدم تمكنه من الحضور شخصياً. أجابت باندیا.

- اسمحي لي أن أقودك إلى المكان المخصص لك ياسيدتي، فالطقس قارس هنا.

كانت قاعة الكنيسة مليئة بالناس وأحست باندیا بعيون الحاضرين تميل نحوها وهي تجتاز القاعة.

ولم تفاجأ ابداً عندما أشار الرجل إلى المكان الذي ستجلس فيه. فقد وضع اسم زوجها الكونت في الصف الأمامي إلى جانب باقي أفراد أسرة الدوق المتوفى. فجلست في مكانها ونظرت إلى يمينها وقرأت على الكارت الصغير الذي الصق في المقعد اسم المركيز س. ستون.

ركعت باندیا على لوح الخشب الموضوع أمامها وصلت بكل خشوع وتذكرت والدها الذي لم يمر على وفاته عدة أيام ودعت الله أن يرحمه، وصلت طويلاً لأجله.

وعندما نهضت لاحظت الفتاة وجود رجل كهل يرتدي زي لورد ليوتنانت يجلس في الطرف الآخر من المقعد الخشبي الذي كانت تجلس عليه فيما جلس إلى يمينها رجل شاب عرفت فيه المركيز ستون الذي قرأت اسمه قبل دقائق.

ومالت باندیا برأسها فالتقت عيناها بعيني الرجل الشاب، كانت نظراته مُفعمة بالإعجاب وتسمرت عيناها في عينيه. فضحك الشاب قائلاً:

- لم لا نتعارف؟ أعتقد انك تمثلين زوجك الكونت. إنني سيلفستر ستون أقوم أيضاً بتمثيل والدي في هذه المناسبة.

تحدث بصوت خافت وهادىء كالهمس. ولم تجب باندیا واكتفت بالابتسام.

- إنني أكره مراسيم الدفن، تابع اللورد سيلفستر ستون، وأرى

انك لا تحبينها أيضاً. أفضل ان تُرمى جثتي في البحر او في فوهة بركان بعد موتي، إنها أفضل طريقة للتخلص من جثث الأموات.

أضحكت أفكار اللورد باندیا وخشيت أن يلاحظ الحاضرون ذلك فتمتمت:

ـ أرجوك لا تحاول أن تضحكني. فإن ذلك سيزعج الآخرين. علينا أن نلزم الصمت.

ـ من الذي يهتم بأمرنا الآن! الكل يفكر في حصته من الإرث فقد كان الدوق رجلاً غنياً.

ومرة اخرى غلب الضحك على باندیا لملاحظة اللورد، فاكتفت بالابتسام وحاولت ضبط أعصابها والسيطرة على الموقف. فنظرت إلى يسارها وتناولت كتاب الصلاة الصغير الذي وزع على الحاضرين قبل دخولهم الكنيسة، فبدأت بقراءة المقاطع الدينية التي كانت تعرفها عن ظهر قلب مثل «إلى الامام يا جيوش يسوع» و «التجيء إلي» وغيرها.

وفيما كانت باندیا تشغل نفسها في قراءة الكتاب الديني أحست بنظرات اللورد موجهة نحوها فاحمرّ وجهها فجأة دون أي مبرر. وفي نفس الوقت تقدم من المذبح ستة أشخاص يحملون النعش.

ركعت باندیا مرة ثانية متجاهلة وجود اللورد سيلفستر ستون وبدأت الصلاة، فاقترب منها هذا الأخير وهمس في أذنها:

ـ كم أنت جميلة! لقد ظننت أنني أحلم لأول وهلة رأيتك فيها. ظننت أنني أجلس إلى جانب حورية كنت أحلم بها.

وتظاهرت باندیا بعدم سماع كلامه وهزت برأسها فأضاف:

ـ لا . . إنك لست حورية! فلم تصل الحوريات الى هذا المستوى من الجمال. إنك أجمل منهن. أية فتاة أنت؟ هل أنت حقيقة أم خيال!

أعجبت كلمات اللورد العذبة باندیا فابتسمت ونظرت إليه طويلاً وأحست بتسارع دقات قلبها فجأة وعادت إلى الصلاة.

ـ إن نظراتك رائعة حقاً! أضاف اللورد فيما كان قس الكنيسة يتابع الصلاة.

ـ أرجوك . . قالت باندیا أخيراً. إن هذه التصرفات غير لائقة في هذه المناسبة فأرجو أن تلزم الصمت.

ـ ستحضرين إلى القصر بعد انتهاء هذه المراسيم؟ سألها اللورد.

وحركت رأسها علامة الإيجاب.

ـ في هذه الحالة سأراك هناك.

ولزم الصمت حتى نهاية الحفل، لكن باندیا كانت تشعر بوجوده إلى جانبها وبنظراته التي لم تفارقها. فقد كان سيلفستر ستون شاباً جذاباً للغاية، ومحدثاً لبقاً، ذلك بالاضافة إلى ثقافته الجامعة الواسعة. وأحست باندیا بانجذابها نحوه منذ اللحظة الأولى بفضل تلك الأشعة الغامضة التي أحست بانبعاثها منه.

فها هي باندیا الآن تشعر بهذه الإشعاعات أو الأشعة من النور تنبعث من اللورد سيلفستر الجالس إلى جانبها. وتساءلت في سرها هل يشعر بدوره بهذه الإشعاعات التي تنبعث منها. «كم انا حمقاء»! قالت. ما هذه الخرافات التي أفكر فيها. لكنها لا زالت تتذكر جيداً تلك الهالة التي كانت تحيط بوالدها والتي كانت تشعر بوجودها وحدها دون سائر الناس، ولم يكن ذلك ناتجاً عن حبها الكبير لوالدها، فكل الذين عاشروه عن كثب عرفوا فيه رجلاً مثيراً وقيماً ومحترماً.

- لم يكن والدك انجليزي الأصل؟ قال لباندیا أحد المزارعين يوم الدفن، إنه بالنسبة إلى أهالي القرية رجل شريف ونبيل ومن خيرة الرجال.

كانت كلمات المدح هذه أكثر مما كانت تتوقع باندیا من طرف رجل انجليزي خاصة وأن الانجليز يعرفون ببرود أعصابهم وعدم مبالاتهم وعدم ميلهم بشكل عام إلى إظهار عواطفهم نحو الآخرين.

- كان والدك رجلاً لطيفاً يا عزيزتي باندیا. قال لها أحد الرجال أيضاً وقد اخذت عنه الكثير الكثير.

ولم تتعرف باندیا في قريتها على كثير من الرجال بمستوى والدها الفكري والعلمي. فكانت تظنه رجلاً خارقاً يختلف بشدة عن بقية الرجال وكانت والدتها تؤكد لها ذلك فقد قالت لها ذات مرة:

- لم اقو على مقاومة والدك يا باندیا كنت أحس في كل مرة انظر إليه

فيها بجاذبية قوية تشدني إليه. وعندما عبر لي عن حبه وطلب مني الهرب معه لم أتردد لحظة واحدة.

- إنك حقاً شجاعة يا أماه.

- لا يا عزيزتي! كان تصرفي أنانياً بعض الشيء. فأحزن والديّ واخوتي. لكنني لم استطع مقاومة الحظ والسعادة اللذين طرقا بابي عندما تعرفت على والدك. ان السعادة تطرق باب الانسان مرة واحدة في الحياة فخفت ان تفوتني هذه الفرصة. كما وهبني والدك أثمن ما في الحياة فقد وهبني الحب الصادق والصريح.

- صحيح لقد كان والدي ذا جاذبية كبيرة، قالت باندیا في سرها، في الوقت الذي كان فيه ستة رجال يتوجهون بنعش الدوق إلى الباب الغربي للكنيسة. لم احس بنفس الجاذبية تنبعث من هذا الرجل الجالس إلى جانبي؟ تساءلت باندیا في نفسها.

واجتازت باندیا الكنيسة دون ان يبتعد عنها المركيز ستون شبراً واحداً.

- كنت أفضل حضور حفلة زفاف، قال لها المركيز أخيراً، كل هذه المشقة والتكاليف لن تجدي نفعاً فقد مات الدوق وارتاح من هذه الدنيا.

ومرة أخرى احست باندیا برغبة في الضحك لكنها تمالكت نفسها وشغلت نفسها بالنظر نحو الباب الغربي للكنيسة حيث كان يوضع رفات الدوق في سرداب الدفن الخاص بعائلته.

لقد اجتمعت عائلة الدوق لوداعه ولإلقاء النظرة الأخيرة عليه ، لم يكن هناك عدد كبير من الأشخاص . فبالاضافة إلى المرأة العجوز وفتاتين في مقتبل العمر كان هناك ثلاثة أو اربعة رجال وقفوا مكشوفي الرأس، قبعاتهم بين أيديهم فيما كانت أولى حبات الثلج تتطاير في الريح.

وارتعدت باندیا فجأة وأحست بيد اللورد تمسك بيدها وتجرها نحو باب الكنيسة.

ـ لا أرجوك، قالت، لا أريد الانسحاب قبل الوقت.

ـ كانت والدتي تقول دائماً إن مراسيم الدفن في الشتاء تجر مراسيم دفن أخرى فلا داعي ان تصابي بنزلة صدرية.

ـ لا تخف! إنني احتمل البرد عادة ولا أخشى النزلة الصدرية.

ـ أما انا فاخشاها. لا أرغب في قضاء أسبوع في الفراش دون حراك، هذا عدا ارتفاع الحرارة والزكام والسعال.

ودون ان يترك يد باندیا جرها إلى الباب الخارجي.. قائلاً:

ـ سنذهب إلى القصر. مسكينة الليدي آن كان يجدر بها الا تخرج من المنزل في مثل هذا الطقس الرديء.. اخشى ان تلحق بالدوق باكراً.

ـ الليدي آن؟ سألت باندیا.

ـ انها شقيقة الدوق التي تعيش معه، أجاب سيلفستر، ناهز عمرها الـ ٨٦ عاماً. كان يجدر بها أن تكون في المنزل في مثل هذا الطقس.

لم تحاول باندیا الاعتراض فقادها المركيز نحو العربة دون أن تنبس ببنت شفة.

ـ هل تسمحين لي بمرافقتك؟ قال لها اللورد. سأطلب من خادمي أن يتبعنا.

وساعد باندیا على الصعود إلى العربة، دون سماع ردها، وطلب من الحوذي انتظاره في الوقت الذي ذهب فيه لإعطاء التعليمات اللازمة لخادمه.

وعاد بعد لحظة وجلس إلى جانب باندیا وغطى ركبتيه بالغطاء.

وما إن انطلقت الجياد حتى نظر إلى الفتاة قائلاً:

ـ هل لك أن تردي على سؤ الي الآن؟

ـ أي سؤ ال؟

ـ أية إلاهة انتِ؟

ـ إنني أُدْعَى باندیا.

وشعرت بالخطأ الذي اقترفته فجأة فعضت على شفتيها وأضافت:

ـ لكن الجميع ينادوني سيلين.

ـ إنني افضل اسم باندیا ، أجاب المركيز ذلك لأن إلاهة سيلين كانت متقلبة الطباع. وأرى أنها كانت غير عادلة في الأسطورة عندما أجبرت انديميون المسكين على النوم المؤ بد.

وهنا قهقهت باندیا ولم تحاول ضبط ضحكتها كما في الكنيسة.

www.elromancia.com

- أما باندیا فكانت مختلفة تماماً ، تابع اللورد سيلفستر، كانت مشهورة بجمالها الخارق أيضاً.

- كيف حصلت على هذه المعلومات؟ سألت باندیا مستغربة، هل قرأت تاريخ اليونان القديم وأساطير الآلهة؟

- إنه موضوع شيق جداً بالنسبة الي، أجاب اللورد وتنهد قليلاً قبل أن يضيف :

- أعتقد ان الآلهة تعيرني كثيراً من الاهتمام!

وحلقت باندیا باللورد جيداً ثم صاحت :

- ستون! ألست ج. ستون؟

- هل سبق أن سمعت اسمي من قبل؟

- طبعاً، كما أنني قرأت عدة مرات كتاب «اللغات المنسية»! كان والدي يردد دائماً إنه افضل كتاب وضع حول اللغات المنسية.

وتعجب اللورد سيلفستر بدوره.

- هل قرأت كتابي حقاً؟

- أجل! لقد أحببت وأعجبت بكل سطر قرأت. إنه الكتاب الوحيد الذي ساعدني على فهم اللغة السنسكريتية (لغة البراهمة)، كما ساعد كتابك والدي في ترجماته.

- الترجمات؟ صاح اللورد سيلفستر. ما اسم والدك؟

- ميكلوس هنيادي.

وصاح الشاب الصغير فرحاً، وأخذ يدي باندیا بين يديه.

- إنني افهم الآن ما الذي دعاني لأن اشبهك بآلهة الاولمبياد! ان الآلهة اليونانية وحدها تملك انفاً مستقيماً مثل أنفك!

- هل قرأت كتب والدي؟

- أجل لقد قرأتها كلها. ماذا يكتب الآن؟

ومالت باندیا برأسها وقالت :

- لقد توفي والدي.

وهمت بالإضافة، إنه توفي الاسبوع الماضي، لكنها تذكرت فجأة الحلي التي تلبسها فيما كان يجدر بها أن تلبس الحداد.

- اني آسف حقاً ! أجاب اللورد، لقد كان مفكراً عظيماً. إن كل سطر خطه والدك يعتبر شعاعاً من النور في عالم الانتاج الفكري والأدبي.

وتنهدت باندیا بحزن قائلة :

- إنني سعيدة حقاً بتقديرك لأعمال والدي.

وتذكرت باندیا والدها الذي قرأ كتاب «اللغات المنسية» في ليلة واحدة. فقد قال لها يومها: «لم اقوَ على النوم قبل قراءة آخر سطر من الكتاب، انه حقاً مشوق. لا شك أنك ستفعلين نفس الشيء يا باندیا!».

غير أنها لم تقرأ الكتاب دفعة واحدة كما فعل والدها، لكنها أحست بمتعة كبيرة في قراءته فقد كان يحتوي هذا الكتاب على كل ما

www.elromancia.com

كان والدي يريد نشره حول الثقافة الاغريقية أو اليونانية، فقد ترجم ج. ستون «الفيداس» من اللغة السسكريتية موضحاً بعض النقاط التي كانت باندیا تجد صعوبة في فهمها.

وبفضل الأبحاث الطويلة التي قام بها استطاع ستون اكتشاف بعض المقاطع من كتاب «الأموات» المصري الضائع والعائد إلى فترة الفراعنة حسب ما شرح لها والدها.

كانت كل كلمة تلمع كألماسة في ذلك الكتاب وقد قرأته باندیا عدة مرات وبفضل هذه القراءة تمكنت من مساعدة والدها في اعمال الترجمة التي كان يقوم بها.

ـ لم اتوقع يوماً ان نلتقي ! صاحت باندیا.

ـ كما أنني لم أتوقع ابداً ان ألتقي بإلاهة إغريقية! أجاب اللورد سيلفستر.

واحمرت وجنتا باندیا وشعرت بالارتباك فسحبت يدها من بين يديه ومالت بوجهها نحو النافذة.

ـ هل كان والدك يكتب شيئاً قبل موته؟ سأل اللورد سيلفستر بعد عدة دقائق من الصمت.

ـ أجل لقد كان يكتب كتاباً لكنه لم يتمّه.

ـ هل ستقومين باتمامه؟

ـ سأحاول . أجابت بكل تواضع.

ـ هل تسمحين لي بمساعدتك؟

وهمت بالقول بفرح «كيف لي أن أرفض؟» لكنها تذكرت فجأة أنها لن ترى اللورد ستون بعد اليوم، فسينتهي هذا الدور الذي تلعبه غداً. ولم تجب على سؤاله، وادارت وجهها مرة أخرى نحو النافذة وقالت:

ـ إنها عاصفة ثلجية قوية!

ـ أجل ! قال اللورد سيلفستر وهو ينظر إلى النافذة. هل جئت اليوم من لندن؟

ـ أجل، أجابت باندیا، ويجب أن ارجع اليوم.

ـ لكن لن يكون ذلك ممكناً في مثل هذا الطقس.

ـ لا بد لي أن أعود اليوم، اجابت باندیا، سيسير كل شيء على ما يرام.

لم يعلق اللورد على ردها وسألها:

ـ حدثيني عن الأعمال التي كان والدك يقوم بها. كنت أتمنى التعرف إليه قبل وفاته، لكنني عشت خارج انكلترا طوال السنوات الأخيرة.

ـ في أي بلد كنت؟ سألت باندیا باهتمام.

وقصّ عليها أخبار الرحلات التي قام بها في مختلف البلاد الاوروبية إلى ان أحست باندیا فجأة بتوقف العربة امام القصر.

كانت الثلوج تتساقط بكثافة فصعبت الرؤية على بعد عدة أمتار.

ودخلت باندیا برفقة اللورد إلى القصر الفخم فأحست بنعيم الدفء، فقد كان جذع كبير من الحطب يشتعل في البهو الكبير داخل

www.elromancia.com

مدفأة من المرمر الأبيض وتأملت باندیا ديكور القصر بدقة متناهية فكانت الواح الخشب البني القاني تغطي كل الجدران وتوزعت هنا وهناك لوحات زيتية قيمة تمثل معارك تاريخية أو صوراً دينية.

وقاد رئيس الخدم باندیا إلى الغرفة المخصصة لها. فوجدت بانتظارها خادمتين ساعدتها إحداهما على نزع معطفها فيما قدمت لها الأخرى وعاء من الماء الدافىء لغسل يديها.

توسط السرير الكبير الغرفة، أحاطت به أربعة أعمدة ضخمة من الخشب وتدلت منه ستائر حريرية طويلة.

ونظرت باندیا إلى النافذة ورأت الثلج يتساقط بغزارة وتذكرت كلمات اللورد حول الطقس وتنهدت:

ـ إنه طقس رديء ياسيدتي! قالت الخادمة. إن معظم الذين جاءوا لحضور الدفن سيجدون صعوبة في العودة إلى منازلهم.

ـ إنني أخشى ذلك، أجابت باندیا، لكن لابد لي من العودة إلى لندن اليوم.

ـ لن يكون ذلك ممكناً يا سيدتي! إذا ما تساقط الثلج على هذه الحالة ستلاقي الجياد صعوبة كبيرة في السير في مثل هذا الطقس.

ـ لا، إن حالة الطقس ليست رديئة إلى هذه الدرجة. اجابت باندیا وهبطت إلى البهو الكبير، وفوجئت حين رأت اللورد سيلفستر بانتظارها في أسفل السلم.

تجمع في الصالة الكبيرة حوالى ثلاثين شخصاً قارب معظمهم الخمسين أو الستين عاماً. وقف البعض منهم حول الطاولة الكبيرة الغنية بكل أنواع المآكل لملء أطباقهم قبل التوجه للجلوس حول الطاولات التي أعدت خصيصاً لهذه المناسبة، بينما فضل البعض الآخر تناول حساء ساخن طلباً للدفء.

واستغربت باندیا هذه الأجواء الجديدة، فلم يسبق لها أن تواجدت في مثل هذه المناسبات.

ـ هل ترغبين في الجلوس؟ سألها اللورد سيلفستر أخيراً. سأطلب من أحد الخدم أن يحضر إليك ما ترغبين من مآكل.

ـ شكراً. أجابت باندیا.

وأذهل باندیا وفرة الطعام. فبالإضافة إلى اللحم والدجاج والطرائد كانت هناك أطباق وأنواع من الطعام لم تعرفها الفتاة من قبل، بل

www.elromancia.com

سمعت والدتها تتحدث عنها بين الحين والآخر عندما كانت سيلين تصر على هذا الموضوع.

فقد حضرت كمية كبيرة من الطعام وأعدت الطاولات لاستقبال أكثر من مئة شخص دفعة واحدة فيما بقيت حوالى ست طاولات شاغرة بعد أن جلس كل المدعوين..

جلس اللورد سيلفستر إلى جانب باندیا وقال لها كمن تنبه إلى ما يجول في خاطرها:

ـ إن القسم الكبير من الضيوف فضل عدم تناول الغداء في القصر. والعودة إلى لندن فوراً قبل ارتفاع سماكة الثلوج على الطرقات.

وقفزت باندیا من مكانها قائلة:

ـ علي أن أعود اليوم إلى لندن مهما ساءت حالة الطقس.

ـ لماذا ؟ سأل اللورد سيلفستر.

وقبل أن يفسح لها مجالاً للاجابة استطرد قائلاً:

ـ إن زوجك موجود الآن في باريس فمن الذي ينتظرك في لندن؟

كان في سؤال اللورد سيلفستر كثير من المكر وسوء الظن. ظهر ذلك في ابتسامته الفاترة والهازئة.

ـ لا أحد ينتظرني في لندن! أجابت باندیا بغضب.

ولم يأبه اللورد لردة فعل باندیا وأضاف مصراً:

ـ إن امرأة مثلك وبهذا القدر من الجمال لا يمكن أن تعيش دون معجبين.

وضحكت باندیا طويلاً قبل أن تجيب:

ـ ما هذا الذي تقوله! إنني لست من هذا النوع من النساء.

وفكرت في أوضاع شقيقتها سيلين. وفي نمط حياتها، فقالت في نفسها إن لسيلين بالإضافة إلى ايفور عدداً كبيراً من المعجبين.

وحاولت باندیا تغيير موضوع الحديث فقالت:

ـ حدثني قليلاً عن الموجودين في هذه الصالة فلم أوجه الحديث لاي شخص على الإطلاق. إنك الشخص الوحيد الذي تحدثت إليه.

ـ هذا ما اتمنى أن يستمر. أجاب اللورد. لقد انسحبت الليدي آن إلى غرفتها ولا أرى في هذه الصالة اي شخص يستحق أن أقدمه إليك.

ـ إنك لا تعرف إلا عدداً قليلاً جداً من عائلة الدوق! إن ذلك عائد لاسفارك المتعددة.

ضحك اللورد وأجاب:

ـ لا تربطني علاقة وثيقة بعائلة الدوق وأعيش معظم أوقاتي بعيداً عنها، فقد كان الدوق ابن عم والدي ووصي أمري في نفس الوقت. ولا أعتقد أنني سأرث شيئاً بعد وفاته.

ـ لم لا؟ قالت باندیا، قد يكتب باسمك قطعة من الأرض مثلاً بصفته وصي امرك.

ـ لا، لا أعتقد ذلك، أجاب، فقد كان الدوق مستاءً من طريقة الحياة التي كنت أعيشها.

www.elromancia.com

- كان مستاءً من نمط حياتك؟ حدثني إذاً عن حياتك وما الذي كان يزعج الدوق. سألت باندیا بتردد.

- أفضل الحديث عن حياتك أنتِ، أعتقد أنها أكثر إثارة.

- إن حياتي بعد وفاة والدي أصبحت مملة للغاية. متى ستنشر كتابك الجديد؟ سألت باندیا.

- بعد يومين ان شاء الله.

- رائع، صاحت باندیا، وما هو عنوان هذا الكتاب؟

- لن أقول لك شيئاً الآن. وأتمنى أن أقدم إليك كتابي الجديد بنفسي.

- أرجوك قل لي ما اسم الكتاب الآن. انني لا أحب الانتظار.

وأحست باندیا فجأة أن تماديها في الحديث مع اللورد سيخلق مشكلة لسيلين فيما بعد. وتساءلت: «ما الذي سيحصل لو جاء لتقديم الكتاب لشقيقتها؟ فاللغة اليونانية وأساطير الآلهة هي آخر ما تفكر فيه سيلين، فيفتضح أمرها وتقع سيلين في مازق لا تحمد عقباه».

«لا بد لي أن أتفادى المشكل مهما حصل» قالت في سرها. لم أكن أتوقع أن يجلس إلى جانبي ج. ستون في الكنيسة ولم يخطر ببالي أبداً أن أتحدث مع أي كان في هذه المواضيع التي اتحدث بها مع ستون.

- ما الذي يزعجك؟ سأل اللورد بعد أن لاحظ شرود أفكار باندیا وتغيير تعابير وجهها.

- كيف عرفت ذلك؟ سألت مستغربة.

- إن عينيك تدلان على ذلك وأريد ان أعرف ما الذي يزعجك؟

- لا، لا، إنني على أحسن ما يرام، أجابت باندیا، كل ما يزعجني هو هذا الطقس السيىء وأفكر بصعوبة العودة إلى لندن اليوم.

وتنهدت بعمق وأضافت:

- إنني حقاً سعيدة بالتعرف إليك.

ونظر إليها اللورد ملياً وقال:

- هناك شيء ما يزعجك عدا حالة الطقس، اصرّ اللورد، وأشعر انك بدأت بوضع العقبات والحواجز بيني وبينك. إنك تخشين شيئاً ما. لم هذا الارتباك المفاجىء؟ كوني طبيعية ولا داعي للخوف مني.

- لست أدري عما تتحدث! أجابت باندیا.

- أنظري إلي جيداً.

كانت لهجته آمرة ودون تردد رفعت الفتاة رأسها ونظرت إليه.

وأحست بقوة غريبة جاذبة تشدها نحوه.

- لا يمكن ان تكوني فتاة عادية، قال بهدوء، لقد فتشت عنك في كل مكان عندما كنت في اليونان.

وأحست باندیا عند سماعها هذه الكلمات بانقباض في قلبها وخالجها شعور غريب لم تعرفه من قبل.

شعرت أنها تحت تأثير منوم مغنطيسي أو تحت تأثير سحر قوي وصعب عليها انتشال نفسها من هذه الدوامة التي انخرطت فيها.

www.elromancia.com

وفي هذه الأثناء تقدم منهما خادم فقطع عليهما السحر الذي كانا تحت تأثيره وسأل:

- هل ترغب سيدتي في تناول شراب ساخن؟

وشكرته باندیا لكن اللورد سيلفستر أصرّ قائلاً:

- إشربي شيئاً ساخناً، إن ذلك سيريحك قليلاً بعد البرد القارس الذي تعرضت له في الصباح في الكنيسة.

- يبدو أنك لم تعد معتاداً على مناخ انكلترا. في اي بلد كنت مؤخراً؟

- لقد عدت إلى انكلترا منذ اسبوعين، لقد كنت في الهند.

- طبيعي إذاً أن تشعر بالبرد، هناك فرق كبير بين المناخ في الهند والمناخ هنا. كن حذراً من نزلة صدرية. أما انا فلا أخشى شيئاً إنني معتادة على هذا المناخ.

- هل يهمك أمري إلى هذه الدرجة؟ سأل اللورد سيلفستر.

كم تمنت باندیا في سرها أن تقول له طبعاً، لكنها أجابت:

- إنني متيقنة أن هناك عشرات النساء يقمن بالاهتمام بك ويتمنين أن تطلب منهن ذلك في حالة شعورك بالمرض أو حتى بالتعب.

- ستكونين أجملهن على الإطلاق، أجاب اللورد.

- لقد أخجلت تواضعي بكلماتك هذه، أجابت الفتاة، إنني ذات عاطفة كبيرة تجاه مصاب الآخرين.

- هذا دليل على إنسانيتك ونبلك يا سيدتي رغم مظهرك واسمك الالهي.

مرة اخرى شعرت باندیا بأحاسيس غريبة تختلج قلبها، ففضلت عدم متابعة الحديث مع اللورد خوفاً من سوء العواقب فاستأذنت قائلة:

- يجب أن أذهب الآن. لكنني أرغب في إلقاء التحية على الليدي آن قبل انطلاقي إلى لندن.

ونهض اللورد سيلفستر قائلاً:

- سأرى ان كان ذلك ممكناً.

توجه اللورد نحو أحد الخدم سائلاً عن الليدي آن. وفي نفس اللحظة تقدمت من باندیا امرأة عجوز وجلست في نفس المكان الذي كان يجلس فيه اللورد.

- إنك دون شك الكونتيسة دي لينبورن، قالت المرأة مخاطبة باندیا، هناك قرابة بعيدة تربطني بزوجك.

- إنني آسفة حقاً. لم يستطع الكونت حضور مراسيم الدفن بنفسه فقد اضطر للسفر إلى باريس فجأة.

- هذا لطف منك يا سيدتي أن تمثليه في هذه المناسبة. سيصعب عليك العودة إلى لندن اليوم. إن معظم الحاضرين في الصالة الآن يسكنون في ضواحي القصر.

وألقت المرأة العجوز نظرة على الحاضرين وأضافت:

www.elromancia.com

- لقد أصرّ اللورد غراندفيل الذي جاء لتمثيل الملكة في هذه المناسبة على العودة فوراً إلى لندن بعد انتهاء الصلاة. سيتحول الثلج إلى جليد بعد قليل.

واضطربت باندیا فجأة وقالت:

- يجب ان أعود الآن إلى لندن قبل أن تسوء حالة الطقس أكثر مما هي عليه الآن.

- لم يعد ذلك ممكناً الآن يا سيدتي! أجابت المرأة العجوز.

ونهضت باندیا بعصبية من مكانها فانتهزت المرأة المسنة الفرصة وقدمتها إلى الجالسين على الطاولة المجاورة شارحة لهم رغبة الكونتيسة في العودة إلى لندن فوراً. فابدى كل الحاضرين تخوفهم من الموضوع في مثل هذه الأحوال الجوية.

وازدادت عصبية باندیا وفكرت بإيفيت التي تنتظرها في منزل سيلين «يا إلهي، لم كل هذه التعقيدات؟ اللورد سيلفستر والآن حالة الطقس!».

ومكثت باندیا في مكانها تفكر، فتقدم منها اللورد سيلفستر قائلاً:

- ان الليدي آن مستعدة لاستقبالك فوراً، إنها بانتظارك في غرفتها في الطابق الأول. إنها تشعر بقليل من التعب بعد وفاة الدوق.

- هذا طبيعي. أجابت باندیا.

واجتازت الفتاة الصالة الكبيرة وقبل أن تصعد السلم التفتت إلى رئيس الخدم وقالت له:

- أرجو أن تجهز عربتي سأنطلق إلى لندن بعد قليل. سألقي التحية على الليدي آن واعود فوراً.

لم يفارق اللورد باندیا، فرافقها إلى الطابق العلوي من القصر. وسعدت باندیا بهذه الفرصة لإلقاء نظرة على القصر. وتوقفت أمام إحدى اللوحات الزيتية وقالت للورد:

- حدثني عن هذه الشخصيات، لاشك أنها تمثل أجداد الدوق!

- إن هذه اللوحات بحاجة إلى المسح من الغبار والعناية! أجاب اللورد.

- ليس هذا ما قصدت، قالت باندیا، إنني أرغب حقاً في معرفة تاريخ العائلة.

- أود أن أعرض عليك تماثيل «راجبوت ايدوبار» المصغرة لقد اكتشفتها خلال رحلتي الأخيرة.

- لقد حدثني والدي عنها، تذكرت باندیا. كما حدثني عن آثار الكرنك الرائعة وآثار دلفيا. آه كم أتمنى زيارة هذه المناطق.

ونظر إليها اللورد مندهشاً وفهمت باندیا أنها اخطأت مرة ثانية.

- ما الذي يمنعك من زيارة هذه البلاد والمناطق. فالكونت رجل غني للغاية وباستطاعته أن يدفع تكاليف سفرك إلى أي مكان ترغبين. فلم تعد زيارة هذه المناطق تشكل أية صعوبة كما كان الحال في السابق.

www.elromancia.com

وخافت باندیا من الحماقة التي اقترفتها ففضلت عدم الإجابة. وفي نفس اللحظة توقف اللورد امام باب ضخم وطرق بكل خفة.

- لن أتأخر، قالت باندیا، علي أن انطلق فوراً إلى لندن.

وفتح اللورد الباب ودخلت باندیا إلى خلوة الليدي آن فلاحظت الاختلاف الكبير بالديكور بين هذه الغرفة وغرفة شقيقتها سيلين.

كانت الليدي آن ممددة فوق أريكة قرب المدفأة، تحيط بها طنافس متعددة الألوان والأشكال. كان كل أثاث الغرفة قديماً وبالياً كالليدي آن تماماً.

نزعت المرأة العجوز قبعتها السوداء عن شعرها الفضي وغطت كتفيها بمشلح من الصوف الرمادي اللون. وشبهتها باندیا في جلستها هذه بنساء القرية اللواتي كانت تقوم بزيارتهن من وقت لآخر.

ومدت باندیا يدها وسلمت على المرأة العجوز، فقالت لها هذه الأخيرة:

- شكراً على مجيئك يا عزيزتي. فقد تحملت أعباء السفر في هذا الطقس الرديء.

- لم يستطع زوجي تأجيل سفره إلى فرنسا. أجابت باندیا بهدوء.

- كنت أرغب في رؤية جورج، أجابت الليدي آن، لقد مرت فترة طويلة لم أره فيها. إنني اقدر مشاغله وأسفاره، انه شخصية هامة. لقد بدأ يكبر في السن عليك الاهتمام به يا عزيزتي.

- لن أتوانى لحظة واحدة عن القيام بذلك..

- لقد قال لي سيلفستر إنك ترغبين في العودة إلى لندن اليوم. إن الطرقات لن تكون سالكة وآمنة في مثل هذه الأحوال الجوية. وأرى أنه من العقل تأجيل سفرك إلى نهار الغد. ويسعدني أن أقدم اليك كل ما تحتاجين إليه لقضاء الليلة هنا في القصر.

- آه لا! أجابت باندیا. هذا لطف منك يجب ان أعود اليوم إلى لندن.

- عديني ان تعودي ادراجك إلى القصر إذا كانت الطريق لا تسمح بوصولك إلى لندن بسبب كثافة الثلج. فلدينا عدد كافٍ من الغرف.

- شكراً لك يا ليدي آن، لكن الطقس ليس بهذه الرداءة. إلى اللقاء وشكراً على الغداء اللذيذ.

- إنني سعيدة بذلك. لدينا طاه ماهر.

- أجل يا ابنة عمي آن، قال اللورد سيلفستر، سأهنيء رئيس الخدم والطاهي بنفسي.

- إنها فكرة جيدة يابنّي، قالت المرأة العجوز، سيسعده ذلك كثيراً. فقد قام الطاهي بخدمة الكونت رودولف بكل إخلاص منذ فترة طويلة.

ونظرت باندیا إلى النافذة «فالعاصفة لم تهدأ بعد، لا زال الثلج يتساقط بغزارة» قالت في سرها.

www.elromancia.com

- يجب أن أنطلق الآن إلى لندن، قالت بسرعة، إلى اللقاء، ليدي آن، وشكراً مرة ثانية.

- إلى اللقاء يا عزيزتي، كوني حذرة ولا تترددي لحظة واحدة في العودة إلى القصر.

- لن أتردد أبداً، أجابت باندیا.

وتوجهت نحو الباب فيما كان اللورد سيلفستر يستأذن ابنة عمه.

- سأرافق الكونتيسة إلى الباب، قال اللورد وساعود إليك فيما بعد.

وسألته باندیا عندما أحست بوجوده إلى جانبها:

- هل ستقضي الليلة في القصر؟

- أجل، سأنام الليلة هنا. وأنطلق غداً صباحاً إلى لندن إن شاء الله.

- يمكنني إذاً أن أحصل على نسخة من كتابك قبل نشره غداً؟

- سأوقع بعض الكتب غداً، أجاب اللورد سيلفستر، ويسعدني أن أقدم اليك أول نسخة.

- هل يمكنك أن تحضره لي غداً إلى المنزل؟

- غداً؟ أجاب اللورد بتردد.

- أجل غداً... ذلك أنني سأضطر للتغيب عدة أيام عن لندن وأود أن آخذ الكتاب معي.

- في هذه الحالة سأحضره لك غداً ان شاء الله.

خافت باندیا من تهورها هذه المرة، لكنها لم تستطع كبح رغبتها في الحصول على كتاب اللورد سيلفستر. فهي تشعر بالسعادة لأنها ستلقاه غداً. وتذكرت فجأة سيلين وتساءلت عن ردة فعلها. لو عرفت ان باندیا هي التي طلبت من اللورد الحضور إلى غروفينور سكوار في غيابها؟

لكن الأمر سيكون أكثر سوءاً لو قدم اللورد سيلفستر الكتاب فيما بعد إلى سيلين فهذه الأخيرة لا تعلم شيئاً عن الحديث الذي دار بينها وبين اللورد الشاب حول الكتاب وحول الاغريق والاساطير.

- يمكنك أن تتناول الشاي في المنزل؟ أضافت باندیا.

- لا أستطيع رفض هذه الدعوة اللطيفة، أجاب اللورد، وسأنتظر موعد تناول الشاي على أخر من الجمر غداً.

اخجلت كلمات اللورد باندیا فلم تنبس ببنت شفة، وهبطت السلم على عجل.

وتوقعت الفتاة الشابة أن تجد عربتها جاهزة لكن رئيس الخدم تقدم منها قائلاً:

- لقد نقلت أوامرك الى الحوذي يا سيدتي وطلبت إليه تجهيز العربة. لكن الثلج لا زال يتساقط بغزارة ويستحيل عليك وصول لندن هذه الليلة.

ونظرت باندیا إلى اللورد سيلفستر سائلة:

www.elromancia.com

- هل هذا صحيح؟

- لقد حذرتك من ذلك قبل قليل، لا داعي لتعريض حياتك للخطر إنها عاصفة ثلجية قوية لابد أن تهدأ غداً.

- إنني على يقين يا سيدتي! اكد رئيس الخدم، أنك ستمضين ليلة مريحة في القصر. وستنقشع السماء غداً ان شاء الله.

لم تجد باندیا فائدة في الإصرار، فهي لا تقوى على تحمل هذه المسؤولية وحدها فوقفت محتارة صامتة.

- لقد دعت الليدي آن الكونتيسة إلى قضاء الليلة في القصر، قال اللورد سيلفستر، أرجو أن تطلب من الآنسة ويتلي أن تقوم بتجهيز غرفة خاصة بها وأن تضع فيها كل ما قد تحتاج إليه لقضاء الليلة في القصر.

- حسناً ما يلورد، أجاب رئيس الخدم.

- أرغب في الجلوس في الصالون الأزرق يا «بات» هل اشعلت المدفأة؟

- لقد جهزت المكتبة الصغيرة يا سيدي، أجاب بات.

- حسناً سنجلس في غرفة المكتبة، قال اللورد.

وقاد باندیا عبر الممر الطويل المزين بالألواح الزيتية والأسلحة القديمة إلى أن وصلا إلى المكتبة.

ولم تكن الغرفة صغيرة كما توقعت باندیا.

- سنجلس في غرفة المكتبة الكبيرة في المرة القادمة إن شاء الله. قال اللورد. إنها تحتوي على أكثر من ٢٠ الف مجلد، لكنها باردة جداً في فصل الشتاء وأفضل أن نجلس هنا الآن.

وجلست باندیا على أريكة كبيرة من الجلد مقابل المدفأة التي تعلوها لوحة زيتية ضخمة تمثل «الحكم على باريس»، الأسطورة «الاغريقية القديمة».

فقد ألهم هذا الموضوع العديد من الفنانين، أما اللوحة المعلقة فقد كانت تمثل «باريس» محاطة بالإلهات الجمال.

ولاحظ اللورد سيلفستر اهتمام باندیا باللوحة المعلقة فوق المدفأة فقال لها مجاملاً:

- اطمئني يا سيدتي، إنك أجملهن على الإطلاق، حتى جمال أفروديت لا يوازي جمالك وفتنتك.

- لقد أخجلتني، أجابت باندیا، إنني قلقة حقاً لعدم تمكني من العودة إلى لندن كما كان مقرراً.

- من الذي ينتظرك هناك؛ فإن الكونت جورج لا زال في باريس.

- لا أحد سوى الخدم. وأرجو أن يتفهموا سبب تخلفي هذه الليلة عن العودة إلى المنزل.

- هل تعتقدين أنني أصدقك؟

- ما الذي يعنيك بالأمر؟

www.elromancia.com

ـ انه جواب سخيف أجاب اللورد. إنني أهتم بكل ما يتعلق بك يا سيدتي، ولا أعتقد أنك تشكين لحظة واحدة في هذا الموضوع.

وأحست باندیا فجأة باقتراب اللورد منها فارتبكت وتسارعت دقات قلبها واكتفت بالنظر إلى النار.

ـ لدي الكثير الكثير أقوله لك، تابع اللورد سيلفستر، لكن كل ما يهمني الآن هو أنك إلى جانبي فيمكنني أن أتأملك ما شئت، لقد تحول الحلم إلى حقيقة ووجدت الإلاهة التي كنت أفتش عنها.

ونظرت إليه باندیا وسارعت في تغيير موضوع الحديث:

ـ لقد كنت تحدثني عن رحلاتك السابقة عندما دخلنا إلى هذه الغرفة قالت باندیا بصوت متردد. أود لو تكمل لي حديثك حول هذا الموضوع.

ـ لدينا متسع من الوقت للتحدث عن الرحلات، أما الآن فأود أن أقول لك إنني أجدك أكثر فتنة وجمالاً عما رأيتك في الكنيسة. أشعر كأنني تسلقت جبال الهملايا فوجدتك في انتظاري في القمة.

ـ كن أكثر واقعية أرجوك! إنني لا افهم جيداً ما تعني.

وضحك اللورد سيلفستر واستطرد قائلاً:

ـ ما هو الموضوع الأكثر واقعية؟ هل أحدثك عن حالة الطقس والزراعة؟ أفضل أن اتحدث عنا نحن الأثنين. انك تعرفين جيداً أنه

من غير الممكن ان نتحدث في موضوع آخر ليس له علاقة بنا نحن الاثنين.

ـ يجب أن نحاول ان نغير موضوع الحديث، قالت باندیا.

وضحك مرة أخرى وهو ينظر إليها بكل عطف:

ـ آه يا إلهي! قال، كم انت ناعمة ولطيفة، ومختلفة تماماً عما كنت أتوقع! لا زلت تحت تأثير الذهول ذهول جمالك. وعندما أتحدث إليك أكاد لا أصدق نفسي، كمن يخاطب فتاة صغيرة في مقتبل العمر، لا تعرف شيئاً عن الحياة. إن نظراتك الساذجة والبريئة تدل على ذلك.

وحبست باندیا أنفاسها. فتابع اللورد سيلفستر كمن يخاطب نفسه:

ـ إن ذلك يعود دون شك إلى تصارع نمطين من الحياة فرض عليك اتباعهما: حياة القصر والبلاط حيث تتألقين دائماً، وعالم الأساطير الذي أعيش فيه انا والذي كان يعيش فيه والدك رحمه الله.

ـ إن هذا العالم الأخير هو الذي يهمني، أجابت باندیا، أرجوك قصّ علي ما لديك من أساطير وخرافات. لعلها المرة الأخيرة التي نلتقي بها ونتحدث في هذه المواضيع.

صممت باندیا على حفظ كل ما سيقصه عليها اللورد فتتذكر كل ذلك عندما ينتهي بالنسبة إليها هذا «العالم الجديد» وتعود إلى القرية الصغيرة «ليتل بارفورد».

واستجابة لرغبتها أجاب الدوق:

- سأقص عليك كل ما تريدين يا عزيزتي لكن أود أن اوضح لك نقطة واحدة وهي أن هذا اللقاء سيكون بداية لقاءات عديدة أخرى فلدي أشياء كثيرة أحدثك عنها. إنك الشخص الوحيد الذي يفهم ذلك. .

- ما الذي يدعوك إلى قول هذا؟ سألت باندیا.

- لقد عشت حتى الآن وحيداً، كانت حياتي مشوقة عبارة عن مغامرة كبيرة، لكنني لم أجد قبل اليوم الشخص المناسب ليقاسمني مغامراتي ويقاسمني أفراحي عندما اقوم باكتشاف مخطوطات منسية أو ضائعة منذ آلاف السنين. إنك الشخص الوحيد الذي يقاسمني كل هذا.

- ما الذي يجعلك متأكداً إلى هذه الدرجة؟

وأمسك اللورد بيديها. وضمهما إلى صدره.

فاختلجت باندیا أحاسيس جديدة وغريبة لم تشعر بها من قبل. وأحست بالراحة وبالأمان. ودون أن تفارق عينا اللورد باندیا سأل:

- هل سبق لك أن أحسست بمثل هذا الشعور مع شخص آخر؟

ودون سماع رد الفتاة أجاب بكل خشوع:

- لم اشعر في حياتي بهذه السعادة التي احس بها الآن. كنت اعتقد انني لن اقابل ابداً هذا الشخص الذي يهبني كل هذه السعادة.

وسحبت باندیا يديها من يدي اللورد وقالت خائفة:

- كنت أتوقع أن تحدثني عن الهند. إنه آخر بلد قمت بزيارته؟

وفضل اللورد عدم إزعاج باندیا واقلاق راحتها فحدثها مطولاً عن رسومات راجبوت «التي رآها في ايدوبار» والمخطوطات القديمة التي اكتشفت مؤخراً والتي قام بترجمتها والتي اتضح أنها أشعار غزلية رائعة.

- هل أجد هذه الأشعار في كتابك الأخير؟ سألت باندیا باهتمام.

- في كتابي المقبل إن شاء الله وسأحتاج إلى مساعدتك في كتابي الجديد.

- كيف لي أن أساعدك ! فلم أقم بزيارة الهند في حياتي!

- إن القسم الأكبر من الكتاب يتحدث عن اليونان، ولديّ مخطوطات عديدة اكتشفت مؤخراً في أحد المعابد ولم أقم بترجمتها بعد.

وهنا قالت باندیا بفرح:

- آه ! ليت والدي ما زال حياً!

- لكنت طلبت منه مساعدتي دون شك، أجاب اللورد سيلفستر، لدي شعور أكيد أنك قادرة على القيام بهذه المهمة على أكمل وجه وبنفس مهارة والدك.

كم تمنت باندیا في سرها القيام بهذه المهمة لكن دورها سينتهي غداً أو بعد غد «فلا داعي لتعقيد الأمور» قالت الفتاة في سرها. فسيقدم لها كتابه غداً ولن تراه بعد ذلك أبداً.

وتحدثا طويلاً في مواضيع شتى دون أن يعيرا أي اهتمام للوقت.

وبينما كانا على هذه الحال دخل عليهما رئيس الخدم حاملاً طبقاً وضعت عليه أقداح من الشاي وبعض الحلوى والسندويشات.

وتعجبت باندیا ونظرت في الساعة. إنها المرة الأولى في حياتها التي تمضي فيها ساعتين من الوقت في التحدث إلى رجل غريب. فقد تعرفت إليه في الصباح وها هي تتحدث إليه بكل طلاقة وبساطة.

وضع الخادم الطبق الفضي فوق الطاولة فبادره اللورد قائلاً:

- ان هذه الحلوى تكفي فرقة كاملة من الجيش!

- إنني لست جائعة، قالت باندیا.

- لا بد ان تتذوقي الحلوى مع قليل من الشاي، أصرّ اللورد. إنها أفضل طريقة لمحاربة البرد. وإلا سيشعر الطاهي بخيبة الأمل.

ولم تقاوم الفتاة الشابة، فتناولت قطعة من الحلوى وشربت قدحاً من الشاي.

ولم يأكل اللورد سيلفستر إلا قليلاً أيضاً.

- إنك تحافظ على رشاقتك البدنية، قالت باندیا مداعبة، فيا تحثني على تناول الحلوى!

- لا أتناول شيئاً عادة بين الوجبات الرئيسية من الطعام. وفي معظم الأوقات لا أشعر بالجوع خاصة عندما أكون منكباً على الكتابة.

- لقد كان والدي أيضاً ينسى في معظم الأحيان أوقات الطعام. فكانت والدتي تناديه عدة مرات لينضم إلينا على المائدة. أما أنت فيلزمك زوجة تهتم بأمورك.

- أجل إنني بحاجة إلى زوجة تهتم بأموري! قال اللورد سيلفستر دون أن تفارق عيناه باندیا، فاحمرت وجنتا هذه الأخيرة خجلاً.

ومرت الساعات مسرعة. فاضطرت باندیا إلى الاستئذان للصعود إلى غرفتها لكي ترتاح قليلاً قبل موعد العشاء الذي كان مقرراً في الساعة الثامنة.

- سأطلب من الخدم تدفئة الصالة الفضية، قال لها اللورد سيلفستر، لا شك أنها ستعجبك لدينا كثير من الاشياء نقولها لبعضنا بعد العشاء.

واحمرت وجنتا باندیا مرة أخرى وصعدت السلم متجهة نحو غرفتها وهي تتأسف لأنها لم تحضر معها فستاناً آخر تلبسه في حفل العشاء. فاللورد سيلفستر يسكن في القصر ولديه كل ما يلزم من أجل حضور هذه الحفلة.

وجدت باندیا الخادمة بانتظارها في الغرفة التي خصصت لها.

- إنها غرفة جميلة حقاً! صاحت باندیا فور دخولها الغرفة. كانت تحتوي هذه الأخيرة على سرير كبير من الخشب المحفور المذهّب وعلى خزانة كبيرة من نفس النوع بالإضافة إلى الستائر الطويلة التي غطت كل الجدران.

- توقعت أن تعجبك هذه الغرفة ماي ليدي، أجابت الآنسة ويتلي، فقد أعادت سيدتي ديكورها منذ سنتين.

- أعتقد أنك تتحدثين عن زوجة ابن الدوق رحمه الله أليس كذلك؟

- أجل، ماي ليدي؛ إن المركيز وزوجته يقومان برحلة إلى مصر، لذا لم يتمكنا من حضور مراسيم الدفن. إننا بانتظار عودتهما قريباً فتعود الحياة والحيوية إلى القصر بعض الشيء.

نظرت باندیا إلى كل ما يحيطها وقارنت الغرفة مع غرفة الليدي آن «الفرق شاسع» قالت في نفسها.

وسألت الفتاة الخادمة بحياء:

- لم أكن أتوقع قضاء الليلة هنا في القصر. لذا لم أحضر معي ما يلزمني. إنني بحاجة إلى قميص ألبسه أثناء الليل.

- لقد فكرت بكل ذلك، أجابت الخادمة، فقد تركت سيدتي معظم ثيابها هنا قبل سفرها. سأحضر لك كل ما تحتاجين إليه. هل ترغب سيدتي في تبديل ثوبها لحضور حفلة العشاء؟ سألت الخادمة بكل خوف.

فقد كانت تخشى الآنسة ويتلي أن يزعج هذا الاقتراح باندیا لكنها ارتاحت عندما أجابت الفتاة بفرح:

- هل هذا ممكن؟ أرجو ألا يزعج ذلك صاحبة العلاقة.

- لا، أبداً يا سيدتي، سأحضر لك بعض الأثواب فيمكنك الاختيار. اقترحت الآنسة ويتلي. إن ذلك يذكرني بالأيام التي كنت أساعد فيها سيدتي على ارتداء ثيابها عندما كنا نقيم الحفلات في القصر. كانت الليدي آن تفضل دائماً تناول طعامها في غرفتها.

- كم من الوقت مضى على مغادرة الدوق وزوجته القصر؟ سألت باندیا.

- حوالي عام، ماي ليدي، إنهما في طريق العودة الآن، إننا نتوقع وصولهما إلى القصر بعد شهر تقريباً.

خلعت باندیا ثيابها، فأحضرت لها الخادمة جرناً من الماء الدافئ لتغتسل، وتذكرت ما كانت تقصه عليها والدتها وهي تستحم وقارنت كل ذلك بحمام سيلين العصري.

لقد كانت المهمة التي كلفتها بها سيلين في غاية السهولة حتى الآن فقد كانت عملية الدفن في منتهى البساطة بل إنها تعرفت على رجل قيّم كان والدها يحترمه ويقدر أعماله. فتبادلت معه أطراف الحديث وستحتفظ بذكراه مدى الحياة.

«لن أراه أبداً بعد اليوم» قالت في نفسها «لكنني لن انساه أبداً». وناولتها الآنسة ويتلي قميصاً حريرياً معطراً ومطرزاً فلبسته فرحة فهي لم تلبس من قبل قميصاً بمثل هذه الجودة. كان عليها أن تختار بين ثوب أبيض مطرز على الأطراف وثوب آخر أسود من الموسلين. زين بجواهر اصطناعية. واحتارت باندیا بين الثوبين فما كان من الآنسة ويتلي إلاّ أن اقترحت قائلة:

- لقد لبست السواد طوال النهار، ماي ليدي، لذا أقترح عليك ارتداء هذا الثوب الأبيض.

- إنك على حق، أجابت باندیا، سأتبع نصيحتك. أرجو ألا ترى سيدتك مانعاً في ذلك.

- لا، إن سيدتي كريمة للغاية وذات قلب طيب أكثر مما تتصورين، أكدت الآنسة ويتلي، إنها زوجة الدوق الثانية ولم يتجاوز عمرها الثلاثين، إن ثيابها في غاية الأناقة والحداثة الكل يحبها في القصر.

هنا تذكرت باندیا النساء اللواتي رأتهن في الكنيسة، كان معظمهن ما فوق الستين من العمر فلابد أن تضفي الدوقة الثانية قليلاً من الحيوية والشباب على الحياة في القصر.

وتعجبت باندیا لأناقة ونوعية ثياب هذه الدوقة الشابة. وتساءلت في سرها عن عمر زوجها الدوق! لا شك أنه يكبرها سناً، فقد توفي الدوق وهو في التسعين من العمر. فالدوق الابن يناهز تقريباً الخمسين من العمر على الأقل.

وفيما كانت الآنسة ويتلي تصفف شعر باندیا تساءلت هذه الأخيرة في نفسها: «هل تجد الدوقة الصغيرة زوجها الذي يكبرها سناً مملاً كما تجد سيلين ذلك؟ هل تبحث هي الأخرى عن السعادة إلى جانب امير شاب كما تفعل سيلين؟» كانت باندیا تحت تأثير صدمة بسبب تصرفات شقيقتها النابية.

وساورتها أفكار كثيرة فقالت «لا شك أن سيلين لم تستطع مقاومة جاذبية ايفور كما حدث لها تماماً مع اللورد سيلفستر، فهي أيضاً لم تستطع مقاومة رغبتها في التحدث والبقاء إلى جانبه».

- هل تروقك هذه التسريحة يا سيدتي؟ قالت أخيراً الآنسة ويتلي عند انتهائها من وضع اللمسات الأخيرة على تسريحة باندیا.

ولم تنتبه باندیا إلى الآنسة ويتلي التي زينت شعرها بزهور بيضاء تمشياً مع الثوب الأبيض الذي كانت تلبسه، فقد كانت شاردة الأفكار تفكر بسيلين وايفور واللورد سيلفستر.

ونظرت إلى نفسها في المرآة وصاحت:

- إنك حقاً فنانة يا آنسة ويتلي! آه كم هي جميلة هذه التسريحة.

وفرحت الخادمة بهذا الإطراء فقالت:

- إنني اعشق كل ما يتعلق بالتزيين والتجميل منذ نعومة أظافري، ماي ليدي، وكنت اتوق للقيام بدراسة حول هذا الموضوع لكن ظروفي المادية لم تسمح لي بذلك.

- قد تحققين يوماً حلمك هذا، أجابت باندیا، فلكل هدفه في هذه الحياة.

- صحيح ماي ليدي! انك تبدين رائعة بهذا الثوب الأبيض. يمكنني أن أحضر لك أثواباً أخرى إذا كان هذا الفستان لا يروقك؟

ونظرت باندیا إلى نفسها في المرآة، بدت فاتنة وجذابة وتذكرت ما قاله لها اللورد سيلفستر إنها تبدو كفتاة في مقتبل العمر! كانت خصلات شعرها الأحمر الناعم تتدلى فوق ثوبها الأبيض كألسنة من النار.

وتعجبت باندیا لجمالها وتخیلت ردة فعل اللورد.

- إنك فاتنة يا سيدتي ، حقاً فاتنة! صاحت الآنسة ويتلي.

وتمّت لهجة الخادمة عن نوع من الفخر والاعتزاز كمن نجح في اتمام عمل فني كامل.

- شكراً لك يا آنسة ويتلي ! إنك حقاً لطيفة. الفضل يعود إليك.

- ستكون «إيما» في انتظارك يا سيدتي عندما تعودين إلى الغرفة بعد العشاء. إنها فتاة لطيفة ستقدم اليك كل ما تحتاجين إليه.

- شكراً، قالت باندیا مرة أخرى. سأحاول ألا اتأخر علي أن اعود إلى لندن في الصباح الباكر.

واجتازت باندیا الممر الطويل مرفوعة الرأس واثقة من تألقها ومن جمالها. كانت تلبس حول عنقها وفي اذنيها الجواهر التي أعارتها إياها سيلين فزادها ذلك جمالاً وفتنة. وهبطت السلم بسرعة حيث كان الخادم «بات» بانتظارها، فقادها نحو الباب الكبير فدخلت إلى الصالة الفضية.

أول ما أثار انتباه باندیا فور دخولها الغرفة النور الساطع الذي كان ينبعث من ثريا الكريستال المعلقة في السقف، والشموع المضاءة الموضوعة على ركائز فضية في كل جوانب الغرفة. هذا بالإضافة إلى المرايا العديدة التي وضعت هنا وهناك. تأملت باندیا الغرفة ملياً قبل أن تلاحظ وجود اللورد.

كان اللورد واقفاً إلى جانب المدفأة المرمرية المزخرفة دون حراك يتأمل باندیا التي كانت تنظر إلى كل تفاصيل الغرفة كالطفل الصغير. وما إن احست باندیا بوجوده في الغرفة حتى غلبها الارتباك.

فتقدم منها وأمسك بيدها متمتماً:

- آه! يا عزيزتي إنك رائعة كشعاع القمر كما تخيلتك تماماً.

ولثم يدها بشفتيه. فأحست الفتاة بقشعريرة غريبة تسري في جسدها.

www.elromancia.com

- أين ستقودك رحلتك القادمة؟ سألت باندیا.

تحدثا مطولاً ساعات عديدة دون ان يعيرا أي اهتمام لمرور الوقت.

- سأسافر بعد أسبوع أو عشرة ايام إلى تفروات، أجاب اللورد.

ونظرت إليه باندیا مستفهمة، فأضاف:

- إنها مدينة تقع في جنوبي المغرب في وادي أميان. إنها من أجمل مناطق أفريقيا على الإطلاق.

- ستقوم دون شك برحلة مشوقة، صاحت باندیا، كم أتمنى مرافقتك! تمتمت بعد قليل.

تحدثت دون تفكير وأمام نظرات اللورد المستغربة، احمرت وجنتاها وتراجعت انقاذاً للموقف قائلة:

- سأحلم في زيارة هذه المنطقة كما أحلم في زيارة مناطق عديدة أخرى.

ومرة أخرى أحست أنها وقعت ضحية زلة لسان. فثروة زوجها تسمح لها في زيارة كل المناطق وكل البلدان ففضلت تغيير موضوع الحديث دفعة واحدة. فسألت:

- ما عنوان كتابك الجديد؟

- لست أدري لم أقرر بعد، فكرت منذ فترة بعنوان «الأماكن الممنوعة». إنه عنوان جيد. فما رأيك؟

- الممنوعة! أجابت باندیا بدهشة، عمّ يتحدث هذا الكتاب؟

- إنه يتحدث عن التيبت.

- آه كم أتوق لقراءته!

وهمت بطرح عدد كبير من الأسئلة حول الموضوع لكنها تذكرت فجأة الساعة فقالت خائفة:

- لقد حان وقت الذهاب إلى النوم الآن.

وتركت مكانها.

- إنها فكرة صائبة، أجاب.

توقعت باندیا اعتراض اللورد لكنه وافقها الرأي بكل طيبة خاطر وتوجهت نحو الباب بخطى مترددة.

صعدت السلم نحو غرفتها بعد أن ألقت التحية على الخادم الذي كان ينتظرها في الصالة الكبيرة.

سار اللورد سيلفستر إلى جانبها دون أن ينبس ببنت شفة، فالتفتت إليه أمام باب غرفتها ومدت يدها مصافحة وقالت:

www.elromancia.com

- تصبح على خير ماي لورد، شكراً على السهرة الممتعة.

وأمسك بيدها وطبع عليها قبلة قائلاً:

- شكراً لك، إنها أجمل سهرة قضيتها في حياتي.

كانت الخادمة «إيما» بانتظارها في الغرفة، فساعدتها في خلع ملابسها فيما كانت باندیا تفكر في كل ما دار بينها وبين اللورد من أحاديث.

لم تكن «إيما» كثيرة الكلام كالآنسة ويتلي فبعد أن وجهت إليها باندیا بضع كلمات عادت مرة أخرى إلى أحلامها وأفكارها.

فكرت في لقاء اللورد سيلفستر غداً فقد وعدها بأول نسخة من كتابه الجديد لكنه سيختفي بعدها في المجهول إلى الابد وأثارت فيها هذه الفكرة نوعاً من الغيظ والحزن في آن معاً. وتذكرت باندیا الساعات الحلوة والممتعة التي أمضتها برفقته والأحاديث المشوقة التي دارت بينهما. أحست لأول مرة بأحاسيس غريبة وحميمة. لم تكن قلقة من المستقبل فحياتها إلى جانب ناني لن تحمل لها أية مفاجأة، ستعيش حياة بسيطة وروتينية إلى أبعد حدود، إذ إن أهم ما يتبدل في تلك القرية الصغيرة هو الطبيعة.

وتخيلت باندیا نفسها وهي تكبر في السن وتشيخ، فيذبل جمالها كما تذبل الوردة الجميلة العطرة وتموت. لقد كان والدها واعمال الترجمة التي كان يقوم بها يضيفان على حياتها كثيراً من الحيوية والنشاط.

سأقوم بإتمام كتابه الأخير، قالت في نفسها، ولكن لسوء الحظ ليس لدي المؤهلات الكافية لكتابة كتاب جديد. وتمنت لو تستطيع اللجوء إلى مساعدة اللورد سيلفستر، فقد عرض عليها مساعدته. كم هو رائع العمل معه، قالت في سرها. إنه كاتب معروف ومتمرس يعمل على إحياء اللغات المنسية والأماكن الخفية.

إنه رجل رائع، قالت وهي تندس في الفراش. إنني سعيدة الحظ بلقائه! لن أراه بعد الغد أبداً لكنني سأتتبع أخباره عبر كتبه ومؤلفاته. كانت تفضل الاجتماع به وسماع صوته العذب وأحاديثه المشوقة فتستمتع بنظراته الدافئة والحالمة ولكن تمني كل ذلك يعتبر ضرباً من ضروب المستحيل فلابد من الاكتفاء في قراءة المؤلفات والكتب.

وأطفأت إيما الثريا تاركة الشمعدان مضاءً إلى جانب سرير باندیا.

- تصبحين على خير ماي ليدي. قالت.

- تصبحين على خير يا آيما. عذراً إذا كنت قد تأخرت عليك هذه الليلة.

- لا أبداً يا سيدتي.

وانحنت الخادمة احتراماً وتركت الغرفة وأغلقت الباب وراءها.

اتكأت باندیا في السرير وأخذت تتأمل الغرفة. يمكنني أن أكتب قصة حول مغامرتي في هذا القصر، قالت في سرها، حيث تمضي البطلة الليل في هذه الغرفة فتتعرف على فارس أحلامها فتتزوجه وتصبح دوقة «دورينغكور» لم تكن تفكر حقيقة بدوق دورينغكور بل

باللورد سيلفستر. إذ إن أي دوق في العالم لن يصل إلى مستوى جماله وجاذبيته وثقافته. إنه ينتمي هو أيضاً إلى آلهة اليونان القدامى.

وفيما كانت باندیا شاردة في أفكارها هذه فتح باب الغرفة ودخل اللورد سيلفستر.

ظنت بادىء الأمر أنها تحلم أو تتخيل، لكنه أغلق الباب وتقدم نحوها.

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟ تمتمت بصعوبة. لا يحق لك الدخول إلى غرفتي في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل.

ابتسم اللورد محاولاً ان يهدىء من روع الفتاة، وهو يتأمل شعرها الأحمر الحريري المسترسل فوق كتفيها.

- لم ننهِ حديثنا بعد، أجاب اللورد بصوت خافت.

وجلس إلى جانبها فوق السرير دون أن يتوقف عن تأمل جمالها.

- لقد ألقيت عليك التحية وتمنيت لك ليلة سعيدة، فما الذي جاء بك إلى غرفتي؟ سألت باندیا.

كان قريباً منها لدرجة أن باندیا أحست بضربات قلبها تتسارع بقوة، ولاقت صعوبة كبيرة في الكلام.

- لم أنهِ حديثي معك. أجاب اللورد سيلفستر. كم أتمنى أن أمضي حياتي كلها إلى جانبك.

- أرجوك دعني وشأني، قالت باندیا راجية، إنني لست من هذا النوع من النساء...

- إنك في مقتبل العمر، ولا أعتقد أنك لا تفهمين حقيقة مشاعري نحوك.

- لا تقل هذا، صاحت باندیا بغضب.

وأمام نظراته الملحة والجريئة رفعت باندیا الغطاء وغطت كتفيها.

- أشعر أنك تبادليني نفس الشعور، وبنفس القوة. تابع اللورد سيلفستر: لا داعي لمحاربة عواطفك وتنكرك لها بهذه الطريقة.

- إنك إلاهتي اليونانية! قال اللورد وحاول الاقتراب منها لتقبيلها.

فانتفضت من مكانها كالنمر المفترس مدافعة عن نفسها. أحست بقوة جامحة تشدها إليه، تدفعها للاستسلام والارتماء بين ذراعيه، لكن ضميرها كان يؤنبها من جهة ثانية فهي بالنسبة إليه امرأة متزوجة لا يحق لها ان تقدم على هذه التصرفات.

وبدت إمارات الخوف والغضب على وجه باندیا بوضوح. فخاف اللورد أن يجرح شعورها فقال لها مهدئاً:

- لا تخافي يا عزيزتي إنك حقاً إلاهة جبارة، إنني أحبك، قال أخيراً، لقد أحببتك من النظرة الأولى أرجو أن تقدري شعوري وتأخذيه بعين الاعتبار.

- أرجو أن تقدر شعوري أيضاً، أجابت باندیا بصوت خافت، وتحترمني أيضاً.

- إنني أكن لك كل الاحترام. وما حاولت الإقدام عليه نابع من

www.elromancia.com

أعماقي يا عزيزتي. إنني أحبك بكل جوارحي. أرجو الا تعتبري تصرفي هذا نقصاناً من الاحترام تجاهك لن أقوم بحركة واحدة تجرح شعورك. أعدك بذلك.

شعرت باندیا بصدق كلمات اللورد، فهي تبادله نفس الشعور. ولا يحق لها لسوء الحظ أن تطلق لعواطفها العنان، وفضلت المقاومة للحفاظ على سمعة أختها.

وفكرت في أن تبوح له بالحقيقة، حقيقة الدور الذي طلبت منها توأمتها سيلين القيام به. وتساءلت عن ردة فعله في هذه الحالة. هل تجرؤ على فضح شقيقتها؟ لا أبداً. فهي تفضل أن تضحي بهذا الحب الجديد على أن تلحق الأذى بسيلين.

- دعني وشأني أرجوك. قالت اخيراً.

كان صوتها متهدجاً كصوت طفل صغير على أهبة البكاء، وتأثر اللورد لردة فعل باندیا وحاول أن يهدىء من روعها، فهو لم يقصد الإساءة إليها وجرح شعورها. فنظر إليها ملياً وقال لها بكل حنان:

- لم كل هذا الخوف؟ اهدئي أرجوك فانا لا أقوى على إيذائك أبداً. أود فقط التحدث إليك.

- إنك تخيفني، أجابت باندیا، إنني لا أفهم ما الذي تريده مني بالضبط. إن تصرفك هذا لن يرضي والدتي ابداً لو كانت لا تزال على قيد الحياة.

وابتعد عنها اللورد سيلفستر قليلاً محاولاً تهدئتها وشعر فجأة برغبة كبيرة بضمها إلى صدره كطفلة صغيرة، لكن نظراتها المذعورة أرغمته على الابتعاد عنها.

وتمتمت بصوت متهدج:

- حاول أن تتفهم وضعي، أرجوك... إن ذلك يبدو لنا في غاية الصعوبة نحن الاثنين لكن يجب الا تمسني.

وبحركة لا شعورية رفعت باندیا شعرها المسترسل فوق كتفيها محاولة إخفاء جمالها أمام نظرات اللورد المفعمة بالحب والاعجاب.

وحاول اللورد مرة اخرى معرفة اللغز الذي تخفيه باندیا، فإن استيلاء الرعب والخوف عليها بهذه الطريقة لا يبدو طبيعياً أبداً. فقد سبق للورد أن سمع كثيراً حول تصرفات الكونتيسة سيلين ولم يكن يتوقع أبداً ان تكون على هذا القدر من الحياء. فقال لها:

- لو لم أكن متأكداً انك متزوجة يا سيدتي لظننت أنني اول شخص حاول تقبيلك على الإطلاق. فمن أنتِ؟

لم تجب باندیا ولزمت الصمت فتابع اللورد:

- انظري إليّ، قال بلهجة صارمة، قولي لي الحقيقة. لا يعقل أبداً أن تكوني الكونتيسة! لم يلمسك أي رجل من قبل، إنني متيقن من ذلك ودون ان تشعر أجابت باندیا.

- لا طبعاً! كيف لك أن تتهمني بذلك، لم يمسني أي رجل حتى الآن.

www.elromancia.com

وتبدلت تعابير وجه اللورد، وأحست باندیا بالخطأ الذي ارتكبته ثانية فقد تحدثت عن نفسها ناسية أنها تمثل سيلين.

- هل هذا ممكن، صاح اللورد سيلفستر، إنني لا أصدق ذلك.

وذعرت باندیا فجأة، فقد أوشكت على فضح أمرها وأمر الدور الذي طلبت منها سيلين القيام به.

- دعني وشأني أرجوك! صاحت أخيراً، لا يحق لك الدخول إلى غرفتي، إن الوقت متأخر الآن وأريد أن أنام.

وانهمرت الدموع من عينيها فجأة من شدة التأثر، فأمسك اللورد سيلفستر يدها قائلاً:

- لم أقصد مضايقتك أبداً يا عزيزتي، لكنني لا أفهم شيئاً، أود أن أعرف من أنتِ، حاولي أن ترتاحي قليلاً وسنكمل حديثنا غداً إن شاء الله.

وشعرت الفتاة بخيبة أمل اللورد فشدت على يده قائلة:

- أرجو ان تعذرني على تصرفي هذا. لقد أمضيت برفقتك سهرة ممتعة.

- لم أكن أقصد قط تعكير صفاء السهرة التي أمضيناها معاً. لذا ارجو أن تتقبلي اعتذاري، إنني لا أصدق ما حصل!

- أرجو الا تكون قد غضبت من تصرفاتي.

وحرك اللورد رأسه قائلاً:

- لا أبداً، لكنني لا زلت تحت تأثير المفاجأة، وليس لدي أية فكرة عما يجب ان افعله غداً.

- هل سأراك غداً؟ سألت باندیا بحياء.

- هذا يتوقف على رغبتك.

- أرجوك لا تنس أن تحضر لي كتابك غداً. سأحتفظ به كذكرى إلى ان..

لم تكمل باندیا جملتها وتسمرت عيناها في عينيه وبدوره شد اللورد على يد الفتاة قائلاً:

- يجب ان أذهب الآن، إنها رغبتك فأنا لا أقوى على الإقدام على اي عمل او اي تصرف يزعجك ويثير فيك الرعب.

- إنني مرغمة حقاً على التصرف بهذه الطريقة.

- لماذا؟

- لا يمكنني ان أقول لك شيئاً.

- لقد ظننت عندما كنت أتحدث إليك في الصالة قبل قليل أنه باستطاعتي قراءة كل أفكارك، وباستطاعتك قراءة كل افكاري أيضاً. لقد اخطأت فعلاً. فهناك أسرار كثيرة تخفينها علي.

وتمنت باندیا ان تبوح له بكل الحقيقة فتشرح من تكون؟ وما سبب وجودها في هذا القصر؟ لكن تصرفها هذا لن يكون تصرفاً شريفاً بالنسبة إلى شقيقتها سيلين، فهي لا تملك الجرأة الكافية لفضحها الأمر الذي قد يؤدي إلى طلاقها.

www.elromancia.com

وخافت باندیا أن يشك اللورد في سرها فيفتضح أمر سيلين فتكون سبباً في خراب حياتها وضياع سعادتها.

- ما الذي يشغل بالك الآن؟ سألها اللورد.

- هل لك أن تقسم لي وتعدني بالا تذكر ولو كلمة واحدة امام اي كان حول الاحاديث التي دارت بيننا منذ ان تعارفنا، ولا تذكر لاي كان انك حاولت تقبيلي.

- إن شعوري نحوك، شعور نبيل وصادق، فلا تشكي ولو للحظة واحدة أنني غير قادر على إيذائك أو حتى الإساءة إلى سمعتك.

كانت لهجته صارمة وجافة.

- اعذرني، قالت باندیا مرة ثانية، إنني أخاف من الفضائح وكثرة الثرثرة...

- آه إنك تخشين الإساءة إلى سمعتك في المجتمعات الراقية؟ قال اللورد بلهجة ساخرة.

- لا، ليس هذا ما يخيفني، أجابت الفتاة، ولا يمكنني في نفس الوقت أن أبوح لك بالشيء الذي يخيفني:

- ثقي بي أرجوكِ، لقد جمعنا الله إلى الأبد، إنني متيقن من ذلك.

- إنني اؤمن بذلك، قالت أخيراً بصوت خافت، ولكن يجب ألا نفكر في كل هذه الأمور بعد الآن.

- هل تقصدين انكِ قادرة على نسيان كل ما دار بيننا من أحاديث وما اختلج بيننا من عواطف، وأنك ستعتبرينني غير موجود في هذه الدنيا.

تعجب اللورد سيلفستر.

- لن أنساك أبداً! أكدت باندیا، أما أنت فيجدر بك أن تتجاهل وجودي.

- لماذا؟ سأل اللورد.

ولم تجب باندیا فتابع قائلاً:

- لقد بحثت عنك في كل بقاع العالم، في اليونان، وفي الهند وفي أماكن أخرى عديدة، وحدثت المعجزة والتقيت بك على مقعد كنيسة متواضعة في مراسيم دفن عادية ولن ابتعد عنك بهذه السهولة التي تتمنين.

لم تبحث باندیا عن هذا الرجل الذي التقت به بمحض المصادفة لكنها تشعر الآن بأن اللورد سيلفستر يمثل نصفها الآخر. إنه الشخص الذي كانت تتخيله عندما كان والدها يحدثها عن الاولمبياد ودلفيا وكل الأماكن الاسطورية في العالم. إنه فارس احلامها الذي كانت تتمنى لقاءه، والذي كانت تظن أنه غير موجود في الحياة الحقيقية بل يعيش في مخيلتها فقط.

ها هي تكتشفه الآن وجدته في الكنيسة، ها هو جالس إلى جانبها ممسكاً بيدها. «إنني أرتكب أكبر حماقة في حياتي، قالت في سرها فقد

www.elromancia.com

التقيت بالشخص الذي كنت أحلم بلقائه دائماً، لكنني مرغمة على تفويت هذه الفرصة».

وأمام سكوت باندیا تابع اللورد سيلفستر محاولاته في إقناع الفتاة بالبوح بالحقيقة فقال لها كأنه يقرأ أفكارها:

- انك تعقدين الأمور يا إلاهتي الصغيرة، أقسم لك بشرفي أنني لم أكن اقصد إيذاءك أو جرح شعورك.

ولثم يد باندیا بشفتيه ملياً وهو ينظر إليها:

- إنني أحبك وأحترمك، قال لها بحنان، لكنني لا أجرؤ على لمسك. انك مصرة على تعذيبي ولا أقوى حتى على الدفاع عن نفسي.

وقبل يدها مرة ثانية ونهض قائلاً:

- لقد وجدتك الآن يا عزيزتي وكوني أكيدة انني لن أسمح بضياعك مني بهذه السهولة.

وتوجه نحو الباب وقبل أن يغادر الغرفة التفت نحوها وأضاف:

- إنني أحبك بكل جوارحي وأعتقد أنك تبادلينني نفس الشعور. إن ذلك هو أهم شيء على الإطلاق.

وأغلق الباب فهيمن الصمت على الغرفة.

وفي الصباح الباكر فيما كانت الآنسة ويتلي تساعد باندیا على ارتداء ثيابها أخبرتها الخادمة بأن الطقس قد تحسن كثيراً فانقشعت السماء وتوقف تساقط الثلوج. فطلبت منها باندیا إعلام الحوذي برغبتها في الانطلاق إلى لندن في أسرع وقت.

- إن الليدي آن ترغب في رؤيتك قبل سفرك إلى لندن يا سيدتي، قالت الآنسة ويتلي، يمكنك إلقاء التحية عليها بعد تناول فطور الصباح وستجدين العربة جاهزة بعد ذلك.

- شكراً يا آنسة ويتلي، أجابت باندیا بلطف.

وجدت باندیا كمية وافرة من المال في المحفظة التي أعطتها اياها إيفيت فأعطت قسماً منها للآنسة ويتلي والقسم الآخر لإيما. فقد تذكرت ما كانت ترددده أمامها والدتها حول هذا الموضوع.

وألقت باندیا نظرة اخيرة إلى المرآة بعد أن ساعدتها الآنسة ويتلي في تصفيف شعرها ثم تركت غرفتها وهبطت السلم متوجهة نحو الصالة الكبيرة حيث توقعت أن تجد اللورد سيلفستر في انتظارها. ودخلت إلى غرفة الطعام لتناول الفطور لكنها لم تجد أحداً ولم تقع عيناها على اللورد فأحست بخيبة الامل.

- صباح الخير ماي ليدي، قال لها رئيس الخدم، وهو يدفع الكرسي الذي همت بالجلوس عليه.

ولم تستطع باندیا ضبط رغبتها في السؤال عن اللورد سيلفستر فقالت:

- هل تناول اللورد سيلفستر فطور الصباح؟

- أجل ماي ليدي، وقد انطلق في الصباح الباكر إلى لندن.

- لقد سافر...؟

- كان لدى سيدي اللورد موعد هام في لندن، وقد ترك لك يا سيدتي كلمة صغيرة لتودعيك قبل سفره.

وقدم رئيس الخدم إلى باندیا طبقاً من الفضة فتناولت منه الورقة التي تركها لها اللورد.

وارتعشت يداها وهي تقرأ:

«لقد انطلقت إلى لندن باكراً، لكي اتمكن من ايداعك الكتاب حسب ما وعدتك. ألقاك في موعد الشاي ان شاء الله».

ج. ستون

وأحست بطعنة قوية في صدرها، فقد سافر دون إلقاء التحية عليها تاركاً بضع كلمات خالية من أية عاطفة أو حنان. «لا شك انه تعمد التحفظ قدر الإمكان لعدم الاساءة إلى سمعة الكونتيسة دي لينبورن»، قالت باندیا في سرها. فقد كانت الورقة مفتوحة يستطيع أن يقرأها اي كان وخاصة رئيس الخدم، لكن كلمات اللورد كانت عادية للغاية ولا تثير أية شكوك.

ووضعت باندیا الورقة فوق الطاولة وقالت لرئيس الخدم:

- لقد اضطر اللورد إلى السفر باكراً للقاء الشخص الذي سينشر كتابه. لقد كنت أجهل حتى البارحة انه كاتب هام ومشهور.

- أحقاً كنت تجهلين ذلك! أجاب رئيس الخدم، إننا فخورون بكتاباته هنا في القصر، كما كان سيدي الدوق رحمه الله يطالع دائماً كتاباته ويفخر بها أمام أصدقائه لكنه لم يكن راضياً عن حياة الترحل التي كان يعيشها.

واكتفت باندیا بتحريك رأسها علامة الإيجاب. وانكبت على تناول فطورها على عجل استعداداً للانطلاق إلى لندن في اسرع وقت. فقد كانت تتوق إلى لقاء اللورد سيلفستر وذلك للمرة الأخيرة.

وقبل سفرها ألقت باندیا التحية على الليدي آن، كانت هذه الأخيرة قابعة في غرفتها، شاحبة الوجه حزينة تبدو عليها إمارات الوهن والشيخوخة.

- لقد تحسن الطقس اليوم وتحسنت حالة الطرق بالمقابل، قالت الليدي آن، لقد سعدت كثيراً ببقائك هنا الليلة الماضية بعد أن أمضيت السهرة برفقة عزيزي اللورد سيلفستر.

- آه إنه رجل عبقري فعلاً. أجابت باندیا.

- أجل إنه أيضاً في غاية اللطف، أضافت الليدي، لقد كان أخي يحبه ويقدره كثيراً كما كان يتمنى أن يحتل اللورد سيلفستر مكانة ولده ووريثه في آن معاً. أرجو الا ترددي ذلك على مسامع أحد.

- لقد مات والداه إذاً! قالت باندیا مصممة على معرفة كل ما يتعلق بحياة هذا الشاب الذي ملأ عليها حياتها.

- لقد توفيت والدته وهو يناهز السادسة عشرة من العمر فتزوج والده مرة ثانية ولم يتحمل اللورد سيلفستر الحياة إلى جانب زوجة أبيه التي كانت تكرهه كرهاً شديداً. كما كان يقوم بقضاء عطلاته عندنا هنا في القصر فأحببناه كثيراً وعاملناه كأحد أفراد العائلة.

www.elromancia.com

- كان محباً للسفر، قالت باندیا كأنها تكلم نفسها.

- أجل كان محباً للسفر والمغامرة فلا يتحمل الحياة الروتينية في القصر أو في منزله حيث كان يعيش أخوه الذي يكبره سناً.

- إنني أفهم ذلك، أجابت باندیا بهدوء.

بالطبع فقد كان اللورد سيلفستر طموحاً للغاية واتم ما كان والده يحلم بإنجازه في منزله في ليتل بارفورد.

كانت باندیا تتمنى أن تتحدث إلى اللورد سيلفستر في هذا الموضوع لكن ضيق الوقت حال دون ذلك.

واستأذنت الفتاة الشابة من الليدي آن، ووضعت معطفها فوق كتفيها وتوجهت مسرعة نحو العربة التي كانت تنتظرها خارج المنزل.

أثّرت سماكة الثلوج التي تساقطت الليلة الماضية على سرعة انطلاق الخيول فيما كانت باندیا تتوق للوصول إلى لندن ولقاء اللورد سيلفستر.

سأراه وأتحدث إليه مطولاً، كانت تردد في سرها طوال الطريق. وأطلقت لمخيلتها العنان فتصورت نفسها برفقة اللورد يتبادلان أطراف الحديث في منزل سيلين كما تخيلت نفسها وهي تقرأ كتابه الجديد المشوق. «آه كم احبه»! قالت باندیا في نفسها إنه كل شيء في هذه الحياة بالنسبة الي إنني أحبه بكل جوارحي.

ما ستكون ردة فعله لو صرحت له بالحقيقة وعلم أنها ليست الكونتيسة دي لنبورن وإنما الآنسة باندیا هانيادي؟

كيف تقر له بهويتها الحقيقية دون أن تلحق الأذى بشقيقتها سيلين؟

إن اللورد سيلفستر لا يشعر بأية رغبة في الزواج، فهو رجل كثير الأسفار محب للمغامرة، قام بزيارة أماكن عديدة نائية بعيدة عن الحضارة ويستحيل عليه اصطحاب زوجته معه في هذه الرحلات فقد صرح لها بحبه العميق وأعرب عن رغبته بتمسكه بها مهما كانت العواقب، لكن اللورد سيلفستر كان يعتقد أنها امرأة متزوجة فيمكنه أن يصبح عشيقاً لها، ولم تخطر بباله ولو لحظة واحدة فكرة الزواج.

لا، قالت باندیا في نفسها، إنه حلم جميل وعلينا مهما كلف الأمر أن نستفيق منه.

ففي حالة عدم تحول هذا الحلم إلى كابوس بالنسبة إلى الشابة فإنه سيكون مصدراً للحزن والأسى لفترة طويلة بعد أن تتقبل فكرة فراق اللورد إلى الأبد.

لكنها ستواظب على قراءة كتبه ومؤلفاته فتكون مصدر الفرح الوحيد في حياتها الروتينية في القرية النائية وتتذكر إلى الأبد حرارة يديه عندما لامستاها وحرارة نظراته المفعمة بالحب والاعجاب.

ومرة أخرى أحست باندیا بالحماقة التي أقدمت عليها عندما رفضت الإذعان إلى عواطفها الليلة الماضية فخسرت حب اللورد سيلفستر إلى الأبد. كان بإمكانها الاحتفاظ ببعض الذكريات الحلوة لكنها صدّته بقسوة وقاومت كل مشاعرها. ومن ناحية اخرى حافظت على قيمها ومثلها في هذه الحياة فخسرت حباً كبيراً وأكيداً لن تجده بعد اليوم.

لقد أحسنت الفعل وحافظت على سمعة شقيقتها فقاومت رغباتها وصحت بحبها للورد سيلفستر . وتذكرت باندیا والدتها والحب الذي دفعها إلى الهرب مع الرجل الذي أحبت فعاشا حياة هانئة وسعيدة إلى أبعد حدود. «ليتني أملك جزءاً من جرأة والدتي» قالت. «إنني أبحث عن هذا الحب»! قالت باندیا في نفسها، «وقد اضعت فرصة الحصول عليه عندما قمت بصدّ حب اللورد سيلفستر».

وامتلأت عينا الفتاة بالدموع وشعرت بانقباض في قلبها.

لم تفارق صورة اللورد سيلفستر مخيلة باندیا لحظة واحدة طوال الطريق إلى لندن، وأحست بوقوف والدتها إلى جانبها كأنها تكرر على مسامعها بأنها أحسنت الفعل وبأنها لن تندم على هذا التصرف في ما بعد. لكن باندیا لم تكن تتصور أنها سوف تنسى يوماً ما هذه الليلة.

وتوقفت العربة أمام منزل سيلين في غروسفينر سكوار ووجدت رئيس الخدم في انتظارها.

- إنني سعيد بلقائك ماي ليدي ، قال لها، لقد كنا جميعاً قلقين عليك البارحة ، وتخوفنا من عودتك في هذا الطقس المثلج.

- لقد فضلت البقاء في القصر فقد كانت الطريق مزعجة للغاية.

- لقد كانت فكرة صائبة يا سيدتي، أجاب رئيس الخدم.

وما إن وطئت قدما باندیا الدرجة الأولى من السلم حتى بادرها رئيس الخدم بالسؤال:

- هل ترغب سيدتي في تناول طعام الغداء في خلوتها؟

- أفضل ذلك، شكراً، أجابت باندیا، إنني متعبة بعض الشيء.

وأضافت بعد لحظة صمت:

- إن اللورد سيلفستر ستون سيأتي لتناول الشاي معنا بعد الظهر.

- حسناً يا سيدتي. هل تفضلين استقباله في الصالة؟

- أجل، افضل ذلك، قالت باندیا وهي تصعد السلم متوجهة إلى غرفتها. وأحست بقشعريرة فرح لمجرد مرور فكرة لقاء اللورد في رأسها. الصالة الكبيرة هي أفضل مكان للقائهما على غرار صالة القصر الفضية.

سأراه قريباً! قالت في سرها. وكاد قلبها يطير من الفرح لهذا اللقاء وتمنت مرور الوقت بسرعة.

كانت الخادمة إيفيت تنتظر باندیا في غرفتها. فسألتها فور دخولها الغرفة:

- هل قمت برحلة ممتعة يا سيدتي؟

- لقد كان كل شيء على ما يرام، أجابت باندیا، لكن الثلوج منعتني من العودة البارحة مساءً.

- لقد أرعبتني فكرة عودتك البارحة. وقد أحسنت الفعل في تأجيل موعد سفرك.

وساعدتها إيفيت على نزع معطفها دون أن تكف عن الكلام.

- لقد أحضرت لك بعض الملابس يا سيدتي.

www.elromancia.com

- انك في غاية اللطف. أجابت الفتاة.

وأوشكت باندیا أن تقول لايفيت بأنه لم يسبق لسيلين أن فكرت بها وبأحوالها من قبل وبذلك فإنها ترفض كل ما تقدمه إليها، لكنها كانت على يقين من أن سيلين لا تستطيع أن تقدم لها أشياء تفضل الاحتفاظ بها فعدلت عن هذه الفكرة، ذلك لانها بحاجة ماسة إلى هذه الملابس.

وأجابتها إيفيت كأنها قرأت ما يجول في خاطرها:

- إن سيدتي تملك عدداً كبيراً من الأثواب، سأعطي بعضها للفقراء كالسيدة هندرس مثلاً.

وقهقهت باندیا وسألت:

- هل تملك سيلين بذلة خاصة بركوب الخيل لم تعد بحاجة إليها، ذلك أنني أركب في بعض الأحيان حصان أحد المزارعين في القرية، فقد صغرت علي بذلتي وأصبحت قديمة جداً.

- لم أكن أعتقد أنك بحاجة لمثل هذه البذلة، أجابت إيفيت، فإن سيدتي تملك عدداً كبيراً منها ولم تعد ترتديها كلها.

- هل لي إذاً أن آخذ إحداها؟ سألت باندیا بحياء.

- دعي الأمر لي، قالت إيفيت بكل لطف، سأرتب لك في إحدى الحقائب كل ما تحتاجين إليه، إن سيدتي لا ترتدي الثوب أكثر من مرة أو مرتين على الأكثر.

- يصعب علي تصديق ذلك! أجابت باندیا بدهشة.

وهزت إيفيت كتفيها وأجابت:

- إن سيدي الدوق يعتبر من أكبر الأغنياء في لندن ويحرص على أن تظهر سيدتي بمظهر لائق دائماً.

- إنها حقاً أنيقة! صاحت باندیا، وجميلة أيضاً.

وعاونتها إيفيت في هذه الأثناء على خلع ملابس السفر قائلة:

- ليس عدلاً يا سيدتي أن تقيمي في قرية صغيرة وتلبسي مثل هذه الملابس الرثة بينما تقيم شقيقتك في أفخم القصور وتلبس أفخر الملابس.

فضلت باندیا عدم التعقيب على هذا الكلام فهي لا تحب أن تسيء إلى شقيقتها ولو بكلمة واحدة فأضافت الخادمة:

- إن الروابط العائلية تختلف تماماً في فرنسا فكل فرد من العائلة يحظى بالأهمية نفسها. الجد والجدة والابن والحفيد. آه كم أفتقد عائلتي!

- إنني أفهم ذلك، أجابت باندیا بحسرة. لقد فقدت والديّ.

- هل تعيشين وحيدة يا سيدتي؟

- أجل، إنني أقيم مع مربيتي منذ ولادتي أنا وسيلين.

- لحسن الحظ، أجابت إيفيت. إنك جميلة جداً ولابد أن تجدي فارس أحلامك فتعيشين معه حياة سعيدة.

كانت الخادمة تتمنى الشيء ذاته لنفسها في سرها.

- كما أرجو أن تحققي كل آمالك وأحلامك في هذه الحياة يا إيفيت.

- إنني أضع كل ما أنتج جانباً ولديّ الآن كمية وافرة من المال أقدمها إلى الرجل الذي سأتزوج. يسهل إيجاد الرجل المناسب في فرنسا عند امتلاك الدوته المناسبة.

وضحكت باندیا، وأجابت مازحة:

- في هذه الحالة سأمضي حياتي عانساً! فأنا لا أملك ملياً واحداً أقدمه إلى عريس المستقبل.

- إنك فاتنة يا سيدتي، وهذه أكبر «دوته» ستتزوجين ان شاء الله وترزقين بعدد كبير من الأولاد.

هذا كل ما كانت تحلم به باندیا ولكنها تشك في تحقيقه بعد فقدان اللورد.

دخلت باندیا إلى خلوة شقيقتها المعطرة لتناول طعام الغداء وهي تفكر بسيلين التي تملك كل ما تحتاج إليه من الناحية المادية. لكنها تفتقر إلى السعادة، فهي تعيش إلى جانب رجل يكبرها سناً ولا تكن نحوه أية عاطفة، ولم تنجب منه الأطفال.

ودون أن تغيب سيلين عن مخيلتها تناولت باندیا طعام الغداء اللذيذ بكل شهية وقالت في سرها «علها تجد السعادة يوماً وتعود إلى رشدها» وتذكرت ما كانت تقرأه في الأساطير الاغريقية حول الآلهة التي كانت تفضل التمتع بملذات الدنيا حتى المحرمة منها على الاحتفاظ

بالذكريات. إن شقيقتها سيلين تنتمي إلى هذا النوع من الآلهة. هل هي على حق في ما تقوم بالاقدام عليه؟

لكن باندیا تجهل الجواب على هذا السؤال وتذكرت اللورد سيلفستر فقد كانت لديه نفس الفكرة، فكرة التمتع بالحياة وبملذاتها مهما كان الثمن.

www.elromancia.com

ارتدت باندیا بعد الغداء أجمل الأثواب التي كانت في خزانة سيلين، لكن الوقت لا زال باكراً على موعد الشاي موعد زيارة اللورد سيلفستر فقررت القيام بجولة في منزل شقيقتها.

كانت لينبورن هاوس إقامة ضخمة وفخمة في آن معاً.

هنا وهناك كانت باندیا تلاحظ بعض التفاصيل التي تذكرها بمنزلها في «ليتل بارفورد»، وبعض اللمسات التي تذكرهابوالدتها وذوقها مثل لوحات الباستيل التي كانت تزين غرفة والديها. لكن كل ذلك يبقى بعيداً عن مظاهر البذخ والترف التي تظهر على ديكور وأثاث سيلين.

فقد حاولت سيلين الابتعاد عن والديها وقطع كل صلة تربطها بهما لكنها تحتفظ الآن في منزلها وبطريقة لا شعورية بأشياء كثيرة ورثتها عنهما في طريقة تأثيث منزلها وتزيينه.

كم كانت تتمنى باندیا التشاور في موضوع تأثر الإنسان ببيئته

ووراثته العادات والتقاليد مع والدها، فقد كانت لديه معلومات عامة وقيمة وإثباتات تاريخية حول كل هذه المواضيع.

واعتصر قلبها الألم عندما فكرت بالعودة إلى المنزل في القرية، فلن تجد والدها في انتظارها فقد فقدته إلى الأبد، كم كانت سعيدة الحياة إلى جانبه! قالت في نفسها.

كيف لي أن أعيش وحيدة؟ تساءلت.

وأبعدت هذه الأفكار عن مخيلتها وتأملت اللوحات الزيتية المعلقة على الجدران هنا وهناك. ثم انتقلت إلى مكتبة الكونت، ولم تكن الكتب الموجودة فيها من النوع الذي يهمها، معظمها كان يروي سيرة حياة كبار رجال السياسة وخطاباتهم أمام البرلمان. فمثل هذه المواضيع لا تهم باندیا أبداً، لا شك أنها كانت ستولي الاهتمام لمثل هذه الأمور في حالة زواجها من رجل مثل الكونت.

ومرت هذه الأثناء أمام ساعة كبيرة معلقة في الحائط «آه كم يمر الوقت ببطء»، قالت في سرها «لدي أشياء كثيرة أقولها للورد سيلفستر إنني أتوق إلى لقائه».

وبعد زيارة كل غرف المنزل نزلت باندیا إلى الصالة وجلست تنتظر قدوم زائرها.

كان كل ما في الصالة يذكرها بسيلين، يوجد فيها كل ما كانت تتحدث شقيقتها عنه عندما كانتا تقيمان معاً في ليتل بارفورد. الجدران

المصبوغة باللون الأزرق كنهر النيل، علقت في السقف ثريا من الكريستال وتوزعت هنا وهناك قناديل ذهبية قيمة، هذا بالإضافة إلى الشموع الملونة الجميلة التي كانت تضفي على الصالة جمالاً خاصاً.

أما أثاث الغرفة فقد كان من الطراز الفرنسي، ذكرها بالأثاث الذي كانت تتحدث عنه والدتها وتحاول أن تصفه لها بأدق التفاصيل.

غطيت النوافذ بستائر حريرية زرقاء، كما غلفت المقاعد والأرائك والطنافس بغطاء أزرق فاتح يتلاءم مع لون الستائر والجدران. أما الزهريات فقد كانت تحتوي على أزهار وردية اللون أضفت على أجواء الغرفة كثيراً من البهجة والحيوية.

إن هذا الديكور يتلاءم تماماً مع بشرة سيلين الفاتحة وشعرها الأحمر، قالت باندیا في نفسها.

ونظرت في المرآة الكبيرة المعلقة على الحائط في الصالة وقالت «لقد أحسنت الفعل حقاً باختياري أبسط ولكن أجمل أثواب سيلين إنني أبدو كإلاهة جاءت لتوها من الاولمبياد» وابتسمت بمجرد مرور هذه الفكرة في خاطرها واحمرت وجنتاها فرحاً.

أحست باندیا بمرور الوقت بكل بطء «هل توقفت الساعة عن الدوران»؟ تساءلت. وأخيراً أعلنت عقارب الساعة الرابعة والنصف بعد الزوال. وفتح الباب فجأة.

- اللورد سيلفستر ماي ليدي، قال الخادم بات.

ودخل اللورد إلى الغرفة فأحست باندیا بشعاع غريب ينبعث من اللورد فور دخوله الصالة.

كان أكثر جمالاً وجاذبية مما كان عليه البارحة فشبهته بالاله «ابولون» الذي كان يقود عربته فيمحو ظلام الليل في كل مكان يمر به. وتراءى لباندیا أنها ترى حقاً إشعاعات ضوئية تنبعث منه.

ونهضت من مكانها فيما كان يتقدم نحوها بخطى بطيئة ووقفا وسط الغرفة ونظرا إلى بعضهما البعض مطولاً دون أن ينبسا ببنت شفة. فقد كانا يتبادلان لغة خاصة بالمحبين، ألا وهي لغة العيون ولغة الحب.

وبعد مرور لحظات بقيا فيها على هذه الحال قالت باندیا متلعثمة:

- لقد جئت أخيراً.

- هل ظننت أنني سأنسى الموعد؟

ولم تجب واكتفت بالنظر إليه.

- إنك تبدين أكثر فتنة وجمالاً عما كنت عليه البارحة. ما سرّ هذا الجمال؟

ابتسمت باندیا دون أن تميل بنظرها عن عيني اللورد.

- إنني من هذه الناحية شديد الرومانطيقية ولا أشبه الانجليز في هذه الميزة ولا أستطيع إخفاء مشاعري.

- لديك كثير من الملامح اليونانية. أجابت باندیا.

وضحك اللورد ومد إليها الكتاب الذي كان يحمله بين يديه قائلاً:

- أقدم لك هذا الكتاب عربوناً عن الحب الذي أكنه لك أرجو أن ينال اعجابك.

أخذت باندیا الكتاب وسألت بسرعة:

- هل لي أن افتحه الآن؟

- طبعاً! أجاب اللورد فخوراً.

جلست باندیا فوق الأريكة وأخذت بنزع الورقة التي كانت تغلف الكتاب الذي أعطاها إياه اللورد سيلفستر فيما كان هذا الأخير ينظر إليها بكل إعجاب، كانت باندیا تنظر إلى الكتاب كالطفل السعيد يفتح هديته الجديدة.

وأثار انتباهها عنوان الكتاب: «أضواء في الليل». ونظرت إلى اللورد مستغربة.

- يختلف هذا الكتاب عن كل ما كتبت سابقاً، أجاب وكأنها طرحت عليه السؤال. إنه مختلف أيضاً عن الكتاب الذي أكتبه حالياً.

- إنه كتاب قيم دون شك، قالت باندیا.

- هذا كل ما أتمناه، أرجو ألا يكون كلامك هذا مجرد مجاملة.

- إنني أتوق إلى قراءته في أقرب وقت.

- ارجو ان ينال إعجابك، قال اللورد سيلفستر. لقد حاولت التحدث عن كل الرجال والأنبياء والعظماء الذين كان لهم أثر كبير في تاريخ الفكر الانساني مثل كونفوشيوس، وبوذا، وسقراط وافلاطون

حتى إنني تحدثت عن مفكري العصر الحديث مثل داروين.

- لا شك أنه كتاب مشوق صاحت باندیا.

- كم من الوقت يلزمك لقراءة الكتاب؟ سأل اللورد سيلفستر.

ولم يدع لباندیا فرصة للاجابة فتابع قائلاً:

- أود سماع رأيك بعد قراءته. إن كل ما تقولينه الآن يدخل في باب المجاملة. أرجو الالتقاء بك في أقرب فرصة لمناقشة هذا الكتاب قبل مغادرتي انكلترا.

وشعرت باندیا بموجة من الحزن تسيطر على قلبها فجأة. كيف لها أن تقول له ببساطة إنها لن تراه بعد اليوم، فقد حكم عليها بالاختفاء من حياته إلى الأبد.

ودون سماع رد باندیا تابع اللورد سيلفستر:

- هل فكرت بي منذ البارحة؟

- لقد وجدت صعوبة بالتفكير بأي شيء آخر أجابت بحياء.

- هذا كل ما أتمناه، أجاب بفرح، فلم تفارق صورة وجهك الجميل عيني وكنت أحس بوجودك إلى جانبي في كل مكان.

كانت كلماته صريحة وصادقة، فقد أحست باندیا بالشيء نفسه، فلم تفارق صورته مخيلتها، كما كانت تردد كلماته الحلوة المفعمة بالحب في سرها وتشعر بوجوده إلى جانبها في كل لحظة وفي كل مكان.

- أريد أن أرى عينيك، قال لها اللورد سيلفستر، انظري إليّ.

وأحست باندیا بقشعريرة تسري في جسدها، مرة أخرى أثار فيها اللورد بكلماته الجميلة أحاسيس غريبة لم تعرفها من قبل.

خافت أن يقرأ احاسيسها فيفتضح أمر حبها له إن نظرت إلى عينيه وأحست فجأة برغبة شديدة بالاقتراب منه والبوح له بكل الحقيقة فنظرت إليه ملياً وأحست بقوة غريبة تشدها نحوه، لكنها مكثت في مكانها دون أن تميل بنظرها عنه وفي هذه الأثناء فتح باب الصالة فجأة:

- لقد وصل سيدي اللورد، ماي ليدي.

وصلت كلمات الخادم بات إلى مسامعها وكأنه يتحدث في كوكب آخر ولم تفهم ما قاله لها في بادىء الأمر لكنها استفاقت بغتة من أحلامها وشعرت بتيار بارد يسري في جسدها.

في نفس اللحظة دخل رجل مسن إلى الغرفة. وخارت قوى باندیا دفعة واحدة وأحست بنوع من الدوار لكنها تمالكت أعصابها وسيطرت على الموقف وحاولت الابتسام.

وتقدم الكونت منها فانتفضت واقفة.

- هل فاجأك وصولي باكراً يا عزيزتي؟ سأل زوج سيلين، لقد رتبت أموري لإنهاء كل أعمالي وتمكنت من العودة اليوم.

طبع اللورد قبلة على خد باندیا دون ان تعي هذه الأخيرة ما يدور حولها فاستجمعت كل قواها وقالت بصوت متهدج:

- إنها حقاً مفاجأة جيدة! هل . . . قمت برحلة ممتعة؟

- أجل لقد كانت رحلة ممتعة إلى حد ما. كيف حالك يا سيلفستر لقد كنت أجهل وجودك في إنكلترا في هذه الفترة.

- إنني سعيد بلقائك يا ابن عمي جورج قال اللورد، إنني أمر مرور الكرام في انكلترا.

- إنك كثير الأسفار، أجاب الكونت، إنني حقاً لا أفهم حبك وشغفك بهذه البلدان الواقعة في الطرف الثاني من العالم! مسكين دورينغكور فقد قال لي آخر مرة رأيته فيها إنه يفتقدك كثيراً في القصر.

ودون سماع رد اللورد التفت إلى باندیا وأضاف:

- لا شك أنك التقيت باللورد سيلفستر خلال مراسيم الدفن؟ كنت أتمنى أن أقوم بهذه المهمة بنفسي وأوفر عليك عناء السفر يا عزيزتي إنني آسف حقاً.

- لقد تساقط الثلج بكثرة الليلة الماضية فاضطررت لقضاء الليلة في القصر. أجابت باندیا.

وفي هذه الأثناء دخل الخادم «بات» إلى الصالة حاملاً طبقاً وضع عليه زجاجة من الشراب المنعش وبعض الأقداح.

- إنني فعلاً بحاجة إلى شراب منعش قال الكونت لـ «بات» فقد كان الطقس قارساً في بحر المانش ولم يكن القطار مزوداً بجهاز للتدفئة.

وضع بات زجاجة الشراب فوق الطاولة وأخرج من الخزانة الخشبية طبقاً آخر وضعت عليه أنواع عديدة من الحلوى.

www.elromancia.com

- هل تريد كأساً من الشراب يا سيلفستر؟ سأل الكونت. أم إنك تفضل تناول الشاي أي شراب النساء!

- إنني أفضل قدحاً من الشاي، أجاب اللورد، على الانصراف بسرعة بعدها، لدي أعمال هامة.

مرة أخرى استولى الحزن على قلب باندیا، فهي تمضي اللحظات الأخيرة مع اللورد. الشيء الوحيد الذي كان يخفف على باندیا حزنها وكآبتها هو تصرف الكونت الذي لم يشك لحظة واحدة أنها ليست سيلين فكانت حركاته وتصرفاته طبيعية وعادية إلى أبعد حدود.

جلس الكونت في الطرف الثاني من الغرفة، في مكانه المعتاد دون شك، وأخذ يتحدث إلى اللورد سيلفستر.

- إن الطقس جميل جداً في باريس، وقد قمت إجمالاً برحلة جيدة.

ولما لزم اللورد سيلفستر الصمت أجابت باندیا:

- إنني سعيدة لأنك أتممت مهمتك على أكمل وجه وعدت إليّ سريعاً.

- سيفرح الوزير الأول كثيراً بالنتائج التي حصلت عليها خلال هذه الرحلة، سأطلعه على كل ذلك صباح الغد باكراً قبل انطلاقه إلى منزله في الريف لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

- أجل! طبعاً! تمتمت باندیا وهي تصب قدحاً من الشاي للورد.

- ما أخبار أخيك؟ سأل الكونت اللورد سيلفستر. هل لا زال مقيماً في مصر؟

- أجل! أجاب اللورد، ونهض واقفاً دون أن يشرب ولو جرعة واحدة من الشاي.

- لدي أعمال كثيرة أقوم بها قبل سفري الأسبوع المقبل إلى الخارج.

- إنني سعيد حقاً برؤيتك، أجاب الكونت، لقد أحسنت الفعل بحضورك مراسيم دفن الدوق. أرجو أن تأتي لزيارتنا في كل مرة تحل فيها في انكلترا. كم من الوقت علينا الانتظار هذه المرة، خمس سنوات أم عشر؟

اكتفى اللورد بالابتسام وشعرت باندیا أن انصرافه باكراً ينم عن رغبته في تخفيف الأسى والحزن اللذين استوليا عليه بعد وصول الكونت. كانت تقرأ كل ذلك في عينيه وفي صمته. كان لديها إحساس بأنها تمسك عصفور السعادة بين يديها وها هي ترى نفسها مضطرة لإطلاق سراحه الآن فيختفي إلى الأبد.

- إن الشخص المحب للأسفار لا يعطي اجمالاً أية أهمية للوقت. أجاب اللورد أخيراً.

- إنك تحقق أحلامك بهذه الرحلات! هنا تكمن كل الأهمية، قال الكونت.

ومدّ اللورد يده إلى باندیا مصافحاً فأحست بهذه الأخيرة برغبتة شديدة بالاحتفاظ بيده في يدها فتشده وتمنعه من الرحيل، كانت على وشك أن تطلب منه أن يأخذها معه. لكن وجود الكونت معهما منعها

من البوح بكلمة واحدة. فسحبت يدها وحاولت السيطرة على أعصابها ولزمت الصمت.

- إلى اللقاء يا ابن عمي جورج ، قال مصافحاً الكونت، لا، أرجوك لا داعي لمرافقتي إلى الباب. لقد نسيت أن أنقل إليك سلام الليدي آن لقد كبرت في السن ولا أعتقد أنها ستعيش طويلاً بعد وفاة الدوق.

- آه لقد مرت فترة طويلة لم أرها فيها، أجاب الكونت، سأقوم بزيارتها في أقرب وقت ان شاء الله.

توجه اللورد سيلفستر نحو الباب، فتبعته باندیا بعينيها غير قادرة على الحراك والتفت إليها مرة أخيرة عند وصوله إلى الباب فالتقت نظراتهما للحظة ثم اختفى.

- إنه رجل طيب سيلفستر هذا، لكنه كثير الأسفار وهذا ما يمنعه من أن ينعم بحياة مستقرة كسائر الناس.

- إنه... إنه يكتب كتباً قيمة، قالت باندیا متلعثمة كمن يحاول الدفاع عنه.

- وقد قيل لي إن كتبه هذه تدر عليه أرباحاً طائلة. لكنني في الحقيقة لا افهم حرفاً واحداً مما يكتب.

وضحك الكونت وأضاف:

- إنني افضل فهم الحياة التي أعيش، أي الحياة المعاصرة فيما يقضي

اللورد سيلفستر أوقاته في بحث ودراسة الحضارات القديمة، أخشى ان تفوته فرصة العيش حياة عادية مثل باقي الناس.

لم تجب باندیا. وتابعت تناول قدح الشاي بكل صمت فقد طغى على قلبها شعور غريب يتسم بالوحدة والعزلة.

وأتم الكونت قدح الشراب الذي كان يتناوله ونهض قائلاً:

- لدي رسائل عديدة أكتبها قبل تناول طعام العشاء، سأعمل بعض الوقت في مكتبي. سأحدثك بالتفصيل عن رحلتي أثناء العشاء.

- حسناً! قالت باندیا.

وترك الكونت الغرفة دون أن يلتفت إلى باندیا. وتنهدت هذه الأخيرة الصعداء بعد أن تركها وحدها، كانت تخشى أن يشك بأمرها كما أن ما عاشته قبل قليل لم يكن بهذه السهولة فتعرفت على زوج سيلين وفقدت اللورد سيلفستر مدى الحياة.

علي الآن أن ألتحق بإيفيت في أسرع وقت، قالت في سرها، إنها الشخص الوحيد الذي يستطيع مساعدتي في مثل هذا المأزق..

فأخذت الكتاب الذي أعطاها إياه اللورد سيلفستر واجتازت الغرفة بسرعة محاولة الهرب من حالة الذعر الذي استولى عليها فجأة. وتوجهت نحو غرفة سيلين دون أن تلتفت إلى الخادم الذي كان ينتظرها في باب الصالة.

دخلت إلى الغرفة حيث كانت إيفيت تنتظرها، أرادت أن تقفل الباب بالمفتاح لكنها تراجعت في آخر لحظة ونظرت إلى إيفيت.

- لقد عاد الكونت! قالت بلهجة لاهثة.

- أجل يا سيدتي، أجابت إيفيت، لا أستطيع تصديق ذلك، لحسن الحظ ان الكونت لم يلاحظ أنك لست سيلين.

- لا، أبداً إنه لم يشك للحظة واحدة في الأمر، تمتمت باندیا، لقد خفت كثيراً وتملكني الرعب يا إيفيت، هل يمكنك إبلاغ سيلين بالأمر علها تعود الليلة إلى منزلها.

- لا هذا مستحيل يا سيدتي، فهي لا تتوقع أبداً عودة الكونت قبل الغد. كما أنها ليست في لندن.

- ليست في لندن! صاحت باندیا، لا تستطيعين إذاً إبلاغها بعودة الكونت؟

- لا يا سيدتي.

وشحب وجه باندیا بغتة وبدت إمارات الخوف في عينيها فاضافت إيفيت محاولة ان تهدىء من روعها:

- لا تخافي يا سيدتي، ان الكونت سينام الليلة في غرفته فقد قام برحلة طويلة ومتعبة. إن باريس بعيدة جداً.

لم تخفف كلمات إيفيت خوف باندیا التي بدا عليها الارتباك والاضطراب، فقد قبلت مهمة الذهاب إلى مراسيم الدفن عوضاً عن

أختها بكل سهولة أما مهمة الحلول مكان سيلين أمام زوجها فهي مهمة لا يمكن أن تقوم بها مهما كلف الأمر. وارتعدت باندیا لهذه الفكرة واستولى عليها الذعر من جديد.

- حاولي أن ترتاحي قليلاً يا سيدتي، قالت إيفيت، إنني أتفهم كل ما تشعرين به. حاولي أن تتمددي قليلاً قبل موعد العشاء.

واستلقت باندیا فوق الفراش فيما عمدت إيفيت إلى نزع ثيابها وألبستها قميصاً للنوم ثم توجهت نحو الباب قائلة:

- سأعود إليك في السابعة لايقاظك يا سيدتي سيسير كل شيء على ما يرام فلا داعي للقلق، ستعود شقيقتك غداً صباحاً ان شاء الله.

ومرة أخرى أحست باندیا بالخوف فتوترت أعصابها وتملكها الذعر. كانت تخشى أن يدخل عليها الكونت فجأة فهي غير قادرة على القيام بهذا الدور وتضرعت إلى الله أن تعود سيلين بسرعة فتعود إلى قريتها الهادئة، كم هي بسيطة وسعيدة الحياة إلى جانب ناني. قالت في سرها. إن عزائي الوحيد في هذه الدوامة التي أعيش فيها الآن هو أن الكونت لم يشك في الأمر فهو يجهل وجودي تماماً.

إن العلاقة التي تربطه بسيلين سطحية جداً، فلو كان يحبها فعلاً للاحظ أن هذه الفتاة التي رآها في الصالة ليست زوجته، ليست سيلين..

إنه رجل طيب قالت باندیا في نفسها لكنه ليس الشخص الذي

كانت تحلم به شقيقتها. فهو من النوع الذي لا يرحم أبداً ولا يتساهل أبداً في الدفاع عن شرفه. إن سيلين تلعب لعبة خطيرة جداً مع ايفور. فعلاقتها به تهدد حياتها بالدمار.

علي حماية سيلين، فكرت باندیا، لابد لي من إنقاذها وإنقاذ حياتها مهما كلفني الأمر، لا يمكنني أن أدعها وحيدة في هذه المحنة التي غاصت بها عمداً.

وطلبت من الله أن يقف إلى جانبها ويساعدها في هذه المحنة العصيبة وتمنت ألا يشك الكونت لحظة واحدة أنها ليست سيلين.

فكرت بعد ذلك باللورد سيلفستر «لم كل هذا الحزن الذي اشعر به لقد كنت على يقين منذ اللحظة الأولى التي التقينا بها أنني سأفقده» قالت في سرها. كانت تتمنى أن تحتفظ بذكريات جميلة وسعيدة بعد لقائها الأخير، لكن الأمور سارت عكس ذلك فافترقا بسرعة دون أية كلمة حلوة.

وضمت باندیا الكتاب الذي قدمه إليها إلى صدرها، إنها الذكرى الوحيدة التي ستحتفظ بها مدى الحياة. وقررت فتح الكتاب وقراءة المقاطع الأولى:

«لقد طفت في الأرض والبحار والصحاري
والجبال العالية بحثاً عن النور الذي كان
هدفاً لكل الرجال منذ القدم.

بحثت وحدي ، ووجدت وحدي
شعاع القمر الجميل والإلهتي العذبة.
ووجدت الأمل».

عرفت باندیا أنه كتب ذلك لها وأنها وحدها تستطيع فهم ما أراد قوله والمعنى الحقيقي بهذه السطور.

وامتلأت عيناها بالدموع فجأة ولم تستطع متابعة القراءة، فقد دخل إلى حياتها بسرعة وخرج منها بنفس السرعة. يجب أن أعلم سيلين بالأمر. قد يأتي لزيارتي هنا بالقصر بعد ذلك. ولا شك أنه سيلاحظ الفرق فسيلين لا تعير أي اهتمام للاساطير اليونانية والهندية ستشعر بالملل دون شك إن حاول التحدث معها في هذه المواضيع.

وغطت الدموع وجهها الجميل ، واحست بقلبها يقطر دماً في نفس الوقت، فوضعت الكتاب فوق الطاولة وغطت رأسها في الوسادة وأطلقت لدموعها العنان.

***

- إن باريس مدينة جميلة فعلاً، قال الكونت ، فيما كان الخدم يضعون أطباق الطعام الشهية فوق الطاولة، سأصطحبك معي إلى هناك المرة القادمة وأقيم حفلة عشاء على شرفك فأعرفك على أهم الشخصيات الذين أبدوا رغبة حقيقية في التعرف إليك.

وضحك الكونت فيما كان يتناول سلطة شهية.

- إن أمير بلاد الغال يحظى بشهرة كبيرة في باريس، في مجتمع الأغنياء وفي صالونات الفن والغناء.

- هل قمت بزيارة المسرح أو الأوبرا في باريس؟ سألت باندیا محاولة تذكر كل ما سمعته حول باريس.

- لقد قمت بزيارتها في المرات السابقة أما هذه المرة فلم يكن لدي متسع من الوقت فقد كانت رحلتي قصيرة جداً.

وبدأ الكونت بالحديث عن زياراته السابقة إلى باريس قبل زواجه، فتحدث عن كل المناطق التي قام بزيارتها بالتفصيل.

شعرت باندیا بنوع من الارتياح، كان حديث الكونت مشوقاً فحدثها مطولاً عن بلاد تجهل كل شيء حولها، الأماكن المشهورة، والفنانات العالميات والشخصيات المهمة، حفلات الاستقبال، كما حدثها أيضاً عن النساء في فرنسا.

فقاطعته باندیا سائلة:

- هل هن جميلات نساء فرنسا؟

- لسن أجمل منك على كل حال يا عزيزتي، لديهن اجمالاً جاذبية كبيرة ويتميزن بجمال طفولي.

تناول الكونت طعام العشاء بشهية كبيرة، فيما كانت باندیا تصغي إلى أحاديثه الشيقة باهتمام بالغ، وقادتها أفكارها فجأة إلى اللورد سيلفستر فتساءلت في نفسها وهل يولي اللورد أهمية كبيرة للنساء في

كل البلاد التي يزورها؟» فقد سبق لها أن قرأت في إحدى الكتب عن جمال النساء العربيات اللواتي يتميزن بجاذبية ساحرة خاصة الراقصات العربيات، فأحست لهذه الفكرة بالألم يعتصر قلبها، فاللورد سيلفستر لا يختلف عن باقي الرجال وهو يعشق الجمال دون شك.

وفيما كانت الفتاة شاردة الأفكار سمعت الكونت يوجه اليها سؤالاً لكنها لم تفهم مضمونه جيداً فسارعت بالإجابة:

- آه حدثني عن كل ذلك؟ أود أن أعرف كل شيء حول هذا الموضوع.

- إنك تفاجئينني في ذلك؟

- لماذا؟ سألت باندیا بعد أن أحست أنها أقدمت على اقتراف غلطة.

- إنك لا تهتمين عادة بكل ما أقوله لك وتجدين كل هذه الأحاديث مملة وتافهة، أجاب الكونت.

- هذا غير صحيح! أجابت باندیا بحدة. ففي بعض الاحيان اشعر بالتعب فلا أصغي إليك بكل اهتمام.

- كيف كانت مراسيم الدفن؟ لقد كانت مهمة مملة بالنسبة اليك دون شك؟

- لا أبداً! دعنا من هذا الحديث الآن فلنتكلم بمواضيع أكثر فرحاً. حدثني مثلاً عن السهرة التي أمضيتها في باريس ليلة امس.

www.elromancia.com

وتردد الكونت قليلاً وأجاب:

- بعد العشاء قمت مع بعض الأصدقاء بجولة في باريس.

- اين ذهبتم؟ هل تختلف المقاهي والمطاعم في باريس عما هي عليه في لندن؟

تشجع الكونت باهتمام باندیا فاسترسل في حديث مطول وبتفصيل عن المقاهي والمطاعم وغيرها وبقيا على هذه الحال ساعتين على الأقل، وفي هذه الأثناء اقترحت الفتاة على الكونت تناول شرابه الأخير في الصالة لكنه اعترض قائلاً:

- لا، لا يا عزيزتي أفضل البقاء هنا. إنها المرة الاولى التي أمضي برفقتك سهرة ممتعة، إنك تبدين متعبة في معظم الأحيان.

لم تجب باندیا بل فكرت بشقيقتها سيلين التي لا تعير أي اهتمام لزوجها الذي يبدو في غاية اللطف رغم تقدمه في السن.

- إننا مدعوان على العشاء غداً، قال الكونت، لكنني نسيت اسم صاحب الدعوة.

ارتبكت باندیا وشعرت بالقلق، فهي تجهل كل شيء عن هذه الدعوة لكن الكونت تابع قائلاً:

- إننا نقضي أوقاتاً قليلة جداً مع بعضنا البعض يا عزيزتي! فبالإضافة إلى عملي في البلاط هناك الحفلات ومآدب الطعام والأسفار وغيرها....

- ذلك عائد لمركزك الهام ومهامك الكبيرة! أجابت باندیا.

- إن الأمير لا يقدم حالياً على خطوة واحدة ولا يأخذ قراراً دون استشارتي وهذا ما يضطرني للبقاء خارج المنزل معظم الأوقات.

- إنني اتفهم ذلك. قالت باندیا.

- إنني لا أفهم في القضايا المالية مثل روشفيلد أو كاسيل لكن نصائحي كانت كلها في محلها، إنني أقبض ثمن ذلك مبالغ طائلة.

وتذكرت باندیا أنها قرأت في إحدى المجلات عن مشاكل الأمير المالية والتي يحاول تخطيها باللجوء إلى استشارة اصدقائه. ولم تكن باندیا تعرف من قبل أن زوج سيلين يتمتع بمثل هذه المكانة الهامة لدى الأمير خاصة في المجال المالي.

- إنك رجل ماهر دون شك، قالت.

- يسعدني أن تقولي لي ذلك، أجاب الكونت بفرح، أتذكر يا سيلين بأن الأمير قد اعجب بجمالك في المرة الأخيرة التي تناولنا فيها طعام العشاء في مارلبوروت هاوس.

وأضاف بلهجة صارمة:

- انه لا يتمتع بسمعة جيدة فيما يتعلق بعلاقته مع النساء، وإنني احذرك يا سيلين من أية محاولة للتحدث إليه او التقرب منه فإنني أجبرك على السفر إلى منزلنا في الريف فتمكثين هناك.

كانت لهجته حادة وصارمة ادهشت باندیا إلى أبعد حدود، فأجابت بكل هدوء:

- كيف لك أن تفكر في مثل هذا الأمر؟ إنه لا يهتم بي على الإطلاق. وهناك نساء جميلات جداً يحطن به. كن واثقاً أنني سأصدّ كل محاولاته أرجو أن ترتاح من هذه الناحية.

- عذراً يا سيلين إنني شديد الغيرة كما تعلمين. إنني مستعد على قتل كل من يحاول إلحاق الأذى بك.

وفكرت باندیا بشقيقتها سيلين التي تقوم باقتراف حماقة كبيرة قد تودي بحياتها لو اكتشف الكونت حقيقتها، فهو شديد الغيرة ومن النوع الذي لا يرحم ابداً خاصة عندما يتعلق الأمر بشرفه وشرف زوجته.

إن اجبار سيلين على المكوث في منزل ريفي بعيدة عن المجتمع الراقي الذي تحب وحياة المدينة الصاخبة يعني الموت المحقق بالنسبة اليها. فقررت باندیا بينها وبين نفسها محاولة إقناع شقيقتها بالعدول عن هذه الطريقة في الحياة للاكتفاء بحياتها الهادئة في القصر.

وفجأة دفع الكونت مقعده قائلاً:

- لننتقل إلى الصالة يا عزيزتي. لقد قمت برحلة جيدة ولكن متعبة، لا شك أن رحلتك أيضاً كانت متعبة، أفضل الذهاب إلى النوم باكراً هذه الليلة فلدي أعمال كثيرة علي القيام بها في الصباح.

- أجل إنني بحاجة إلى بعض الراحة، أجابت باندیا.

- لقد اضطررت للعودة بسرعة من باريس لأتمكن من لقاء الوزير

الأول في أقرب وقت. ولدينا حفلة عشاء في الليل. إن نهار غد نهار حافل.

- آه طبعاً! أجابت باندیا بارتباك.

- هل أعجبك إطار اللوحة الجديدة؟ هل جيء بها من عند النجار؟

- لقد أعجبتني طبعاً! قالت الفتاة بتلعثم، فهي تجهل تماماً عن أية لوحة يتحدث فأحست بضربات قلبها تتسارع وسيطر عليها الخوف مرة أخرى. وسارعت في تغيير موضوع الحديث فسألت:

- هل رأيت لوحات جميلة في باريس هذه المرة؟

- لا ليس هذه المرة، فهناك موجة جديدة من الفن المعاصر تجتاح العاصمة الباريسية الآن كالفن التجريدي وغيره. إنني شخصياً لا أحب هذا النوع من الفن أبداً ولا أقدره. أعتقد أن هذا النوع من الفن لا يتقيد بأية قواعد ثابتة ومعروفة.

واسترسل الكونت في حديث مطول حول الفن المعاصر الذي كان يعتبره جريمة في حق الفن الكلاسيكي. تحدث بعدها عن الأعمال الفنية الرائعة التي أنجزها الفنانون الكلاسيكيون.

ونظرت باندیا فجأة إلى الساعة الكبيرة المعلقة في الحائط، الساعة تشير إلى الحادية عشرة فالتفتت إلى الكونت قائلة:

- إنها الحادية عشرة الآن، لقد أبديت رغبتك سابقاً في الذهاب إلى النوم باكراً، لقد كان حديثك مشوقاً للغاية.

www.elromancia.com

- أمضيت سهرة ممتعة برفقتك يا عزيزتي.

وسارعت باندیا إلى التوجه نحو الباب قبل أن يقترب منها الكونت فتبعها هذا الأخير وأمسك يدها وصعدا معاً السلم حيث توجد غرف النوم. كان قلب باندیا يخفق بسرعة كبيرة وما إن توقفا أمام باب غرفتها حتى قال لها الكونت:

- لقد كنت رائعة الجمال يا عزيزتي إليوم، لقد استمتعت حقاً بتناول العشاء برفقتك. سأنظم أوقاتي من اليوم فصاعداً لقضاء أكبر وقت ممكن إلى جانبك.

- شكراً لك. أجابت باندیا بكل حياء دون أن يفارقها شعور القلق والخوف اللذين استوليا عليها.

وفتح الكونت باب الغرفة ودخلا معاً فأحست باندیا بنوع من الدوار وكانت على وشك الانهيار. وهنا تقدم منها الكونت وطبع قبلة على جبينها قائلاً:

- إنك دون شك متعبة من عناء رحلة اليوم سأدعك تنامين الآن، إنني اشعر بوجع في الرأس. تصبحين على خير يا عزيزتي.

وفي نفس اللحظة سُمع طرق على باب الغرفة. فأجاب الكونت بصوت عال:

- ادخل ثم أضاف موجهاً الكلام لباندیا، إنها دون شك إيفيت سأدعها تهتم بك قليلاً.

ودخلت إيفيت إلى الغرفة وانحنت باحترام كبير أمام الكونت قائلة:

- مساء الخير مايلورد: إنني سعيدة بعودتك. فالسفر إلى باريس متعب في فصل الشتاء.

- إنك تشعرين بالحنين إلى وطنك يا إيفيت! قال الكونت مداعباً.

- أجل بعض الشيء يا سيّدي. لكنني سعيدة أيضاً بالعيش معكما هنا. ثم أضافت محاولة انقاذ الموقف:

- لقد قامت سيدتي برحلة شاقة اليوم وأخاف عليها من نزلة صدرية!

- لم تقولي لي هذا؟ قال الكونت ملتفتاً إلى باندیا.

- إن الامر ليس بهذه الخطورة إنني اشعر بقليل من التعب وبألم خفيف في الحنجرة هذا كل ما في الامر.

- سأحضر شراباً ساخناً لسيدتي تشربه قبل النوم. ستكون على أحسن ما يرام غداً صباحاً إن شاء الله.

- إنني أسلمك أمرها يا إيفيت، أريد أن اراها في أحسن أحوالها غداً صباحاً.

ومرة أخرى ضم الكونت باندیا إلى صدره بكل حنان وطبع قبلة على خدها قائلاً:

- تصبحين على خير يا عزيزتي.

وخرج الكونت من الغرفة مغلقاً الباب خلفه. فارتمت باندیا فوق

www.elromancia.com

الفراش وتنفست الصعداء كمن ازاح عن ظهره حملاً ثقيلاً وقالت لإيفيت:

- شكراً لك يا إيفيت لقد انقذت الموقف.

وعاونت الخادمة باندیا على فتح أزرار ثوبها بسرعة، فيما كانت الفتاة ترتجف من الخوف.

- لقد انتهى كل شيء الآن يا سيدتي فلا داعي للقلق. قالت لها إيفيت.

- أخشى أن يحاول الدخول إلى غرفتي في الليل.

- لن يجرؤ على إزعاجك أبداً، إنه يظن انك مريضة.

- ولنفرض أنه دخل الغرفة ماذا علي أن أفعل؟ قالت باندیا.

- ما عليك إلا أن تصديه بكل لطف، إنها ليست نهاية العالم.

- إنني أفضل إقفال الباب الذي يربط بين الغرفتين بالمفتاح علني أخلد إلى النوم قليلاً.

- لا إياك ان تفعلي هذا يا سيدتي ستثيرين شكوك الكونت. كما أن هذا التصرف يدل على عدم احترامك له. قد يظن أيضاً انك تهتمين برجل آخر.

- آه لقد قال لي إنه شديد الغيرة قالت باندیا.

- أجل إنك فاتنة يا سيدتي ومن الطبيعي أن يكون غيوراً. فهو يحاول أن يحتفظ بهذا الكنز الثمين الذي يملكه.

ضحكت باندیا لملاحظة إيفيت وفكرت بشقيقتها سيلين لكنها فضلت عدم التحدث بشأنها مع الخادمة.

- لا داعي للقلق، قالت إيفيت، إن سيدي يخاف كثيراً من عدوى الرشح، إنني متأكدة أنه لن يحاول إزعاجك هذه الليلة.

- أرجو ذلك. قالت باندیا وهي تندس في فراشها دون أن يفارقها شعور القلق الذي استولى عليها.

فكرت باندیا قبل الاسترسال في النوم بكل ما دار بينها وبين الكونت من حديث كما فكرت باللورد سيلفستر وباللحظات الجميلة التي أمضياها معاً.

لم تنم باندیا إلا بعد بزوغ الفجر، أيقظتها إيفيت بعد أن أزاحت الستائر عن النوافذ، فيما كانت إحدى الخادمات تشعل النار في الموقد. كان ذلك نوعاً من الترف بالنسبة إلى باندیا، فقد كانت والدتها تحدثها عن الحياة في القصور حيث يعمل عدد كبير من الخدم لكل اختصاصه ومهامه المعروفة. فإيفيت هي أقرب الخادمات إلى سيدة المنزل تعمل على مساعدتها في الزينة والملابس بينما تعمل الأخريات على ترتيب المنزل وتنظيفه، كما يهتم البعض بالطبخ والموائد.

وفيما كانت باندیا غارقة في هذه الأفكار تذكرت فجأة بأن سيلين ستعود إلى القصر بين لحظة وأخرى. هناك أشياء كثيرة يجب أن أقولها لها قبل انطلاقي إلى القرية قالت في سرها.

لم توجه إليها إيفيت أية كلمة بوجود الخادمة الأخرى في الغرفة وما إن خرجت هذه الأخيرة حتى قالت لها:

ـ هل ترغبين بتناول طعام الإفطار في غرفتك يا سيدتي؟

وتنهدت باندیا بارتياح، إن هذا الاقتراح يخفف عليها مشقة الجلوس مع الكونت مرة أخرى والشعور بالارتباك والقلق ايضاً.

ـ هذا كل ما أتمناه، أجابت أخيراً.

وأحضرت إيفيت طعام الإفطار على طبق من الفضة ووضعته على الطاولة الصغيرة إلى جانب فراش باندیا.

إنها المرة الأخيرة التي أتناول فيها طعاماً في مثل هذه الأجواء وفي مثل هذه الأطباق، قالت في نفسها، أطباق فضية وأقداح من البورسلين الفخم، وأنواع عديدة ومتنوعة من الجبن والمربيات.

ـ لقد انتهى كل شيء الآن، تناولي طعامك بهدوء يا سيدتي، قالت إيفيت.

ـ متى ستعود سيلين؟ سألت باندیا بصوت خافت.

ـ ستعود باكراً.

وارتاحت باندیا. لقد انتهى كل شيء بسلام، لكنها شعرت بالألم فجأة، إنها المرة الأخيرة التي ترى فيها شقيقتها التي حكمت عليها بالاختفاء المؤبد. ستحاول سيلين التخلص منها في اسرع وقت فور عودتها إلى المنزل.

انتهت باندیا من تناول طعام الإفطار، إذ بباب غرفتها يفتح فجأة

ويدخل عليها الكونت. كان في منتهى الأناقة فهو ذاهب لزيارة الوزير الأول.

شعرت باندیا بنوع من الحياء فقد كان شعرها الأحمر مسترسلاً فوق كتفيها وكانت تلبس قميصاً شفافاً جداً وبحركة لا شعورية رفعت الغطاء وغطت كتفيها.

- صباح الخير يا عزيزتي، قال الكونت، كيف حالك اليوم؟

- أحسن بكثير، أجابت، لقد أعطتني إيفيت شراباً ساخناً تناولته البارحة قبل النوم ولا أحس بأي ألم في حنجرتي الآن.

سأوفر على سيلين عناء التظاهر بالمرض قالت في نفسها.

خرجت إيفيت في هذه الأثناء من الغرفة فجلس الكونت الى جانب باندیا فوق الفراش وأحاط كتفيها بيده قائلاً:

- تبدين فاتنة اليوم يا حبيبتي، لن أذهب إلى النادي بعد الظهر. أفضل قضاء هذه الفترة برفقتك قبل الذهاب إلى حفلة العشاء.

فاحمرت وجنتا باندیا حياءً ولم تجب، بل تسمرت في مكانها محاولة الظهور بمظهر طبيعي كي لا تثير شكوكه.

- كنت أفضل قضاء هذا الصباح بجانبك في المنزل لكن موعدي مع الوزير الأول مهم للغاية، فهو ينتظر نتائج رحلتي إلى باريس.

كان في لهجة الكونت كثير من الحنان والحب ولم تستطع باندیا أن تنبس بكلمة واحدة من شدة الارتباك، فأضاف الكونت ضاحكاً:

- لعنة الله على كل من يحاول الوقوف بين رجل وزوجته، إنني أمضي معظم أوقاتي خارج المنزل في البلاط أو في الدعوات. سأحاول تنظيم كل هذا عما قريب.

وانحنى الكونت قليلاً وطبع على خد باندیا قبلة وأضاف:

- الزمي الفراش حتى يحين موعد الغداء، ولا داعي لاتعاب نفسك اليوم سأحاول العودة باكراً إلى المنزل.

- لا داعي للقلق، إنني على أحسن ما يرام.

وقبل أن يغادر الغرفة أومأ بيده بحركة لطيفة بعد أن نظر إلى باندیا مطولاً. وتنهدت الفتاة بعمق وارتمت فوق الوسادة قائلة في نفسها: «لحسن الحظ أنه كان على موعد مع الوزير الأول، فإن سيلين ستصل بين لحظة وأخرى» ودخلت إيفيت إلى الغرفة وقالت بفرح:

- لقد خرج سيدي الكونت. سأحضر لك الحمام وكل ما يلزمك من ثياب قبل عودة سيدتي.

كانت باندیا تفكر في هذه الأثناء بكل ما يجب أن تقوله لسيلين فور عودتها حول لقائها باللورد سيلفستر وكل ما دار بينها وبين الكونت من حديث. فهي تفضل أن تقول ذلك لسيلين شخصياً على أن تشرك الخادمة إيفيت في كل هذه المواضيع. فلا داعي لإخبار إيفيت بكل ما دار بينها وبين اللورد سيلفستر من حديث، فهذه أشياء تفضل الاحتفاظ بها لنفسها. وحملتها أفكارها ثانية إلى اللورد سيلفستر وتمنت

أن تراه مرة أخرى، فلديها أشياء كثيرة تقولها له، فهي ترغب أن تحدثه عن رحلته القادمة وكتابه الجديد الذي صممت على عدم قراءته إلى ان تختلي بنفسها وتشعر براحة نفسية تامة. لن يكون ذلك ممكناً إلا في قريتها الصغيرة بالقرب من ناني.

دخلت إيفيت الغرفة وأخبرتها أن الحمام جاهز. وبعد انتهائها من الاغتسال بالماء الساخن المعطر وجدت بانتظارها ثيابها الرثة التي وصلت بها إلى لندن برفقة سيلين. وجدت باندیا الثوب الأسود الذي اشترته خصيصاً لتلبسه بمناسبة وفاة والدها أكثر حزناً وتعاسة بعد الأثواب الزاهية التي ارتدتها عند سيلين.

ساعدتها إيفيت على تسريح شعرها بنفس الطريقة التي كانت تصفف شعر شقيقتها، فخافت أن تسترجع باندیا هيئتها الأصلية الكاملة قبل عودة سيلين.

- هل تعجبك هذه التسريحة يا سيدتي، سألت إيفيت، إنها تناسبك تماماً، لقد وضعت لك أثواباً جميلة في الحقيبة أرجو أن تتذكريني عندما تلبسينها. سينظر إليك كل أهالي القرية بإعجاب.

اكتفت باندیا بالابتسام بحزن ولم تجب. ورددت في نفسها «كل أهل القرية» ذلك يعني المربية ناني والطبيب والقس وبعض المزارعين. لن يلحظ جمالها اي كان، فأهالي القرية لا يعيرون أي اهتمام لكل هذه الأمور بل ستكتفي بالنظر إلى المرآة وتتخيل شقيقتها سيلين.

- لقد وضعت في الحقيبة أيضاً بذلتين لركوب الخيل، أضافت إيفيت، وقبعات جميلة وقفازات وأحذية مناسبة.

- شكراً لك يا إيفيت، كنت أود أن أكافئك على كل هذا لكنني لا أملك الآن مليماً واحداً، سأرسل لك بعض المال فور وصولي إلى القرية.

- لا لا إياك أن تفعلي هذا يا سيدتي إنك بحاجة إلى هذا المال أكثر مني.

- لقد قدمت لي ولسيلين مساعدة كبيرة يا إيفيت، أجابت باندیا، وسأتذكرك في كل مرة ألبس فيها هذه الأثواب. أتمنى لك كل السعادة إلى جانب رجل لطيف وجذاب تحبينه ويحبك.

ضحكت إيفيت وقالت:

- شكراً يا سيدتي، سأدعو الله أن يوفقك أيضاً.

وفي نفس اللحظة سمع طرق على باب الغرفة فتوجهت إيفيت مسرعة لمغرفة من الطارق قبل أن يدخل أي كان إلى الغرفة.

- السيدة هندرسون وصلت لتوها وترغب في إلقاء التحية على المايليدي، قال الخادم.

- آه، إنها السيدة التي تأخذ الثياب المستعملة عادة، صاحت إيفيت، دعها تدخل، ضع هذه الحقائب في عربتها، أضافت وهي تشير إلى الحقائب التي حضرتها خصيصاً لباندیا.

- حسناً، أجاب الخادم.

وقفت إيفيت في باب الغرفة بانتظار سيلين بعد أن نظرت إلى باندیا نظرة مداعبة. وبعد دقائق دخلت سيلين إلى الغرفة وهي تلبس معطف باندیا واضعة فوق رأسها خماراً أسود شفافاً.

وأقفلت إيفيت الباب بسرعة وساعدتها على خلع معطفها.

- هل عاد الكونت من السفر؟ لقد رأيت معطفه في الصالة، سألت سيلين.

- أجل لقد عاد البارحة في موعد الشاي، أجابت باندیا.

- ما الذي دفعه إلى المجيء باكراً، صاحت سيلين بغضب فيما كانت إيفيت تساعدها على خلع قبعتها وخمارها.

كانت تلبس تحت معطف باندیا الرث ثوباً من الحرير الفاخر وظهرت على وجهها إمارات التعب والغضب.

- أرجو ألا يكون قد شك بأمرك؟ سألت بخوف.

- لا أبداً. طمأنت باندیا.

وتنفست سيلين الصعداء، وقالت لباندیا وهي تشير بيدها:

- هيا هيا يا باندیا، عليك الانطلاق فوراً فلا داعي لبقائك هنا لحظة واحدة.

- لدي اشياء كثيرة أقولها لك قبل عودتي إلى القرية، أجابت باندیا مترددة.

- ليس لدي الوقت لسماعك الآن يا باندیا، أجابت سيلين بلهجة جافة. ستقلك العربة فوراً إلى القرية لا تتحدثي إلى الحوذي ولا تدعي ناني تتحدث إليه أيضاً.

والتفتت إلى إيفيت وقالت لها:

- قولي للحوذي أن يعود فوراً يا إيفيت إنني بحاجة إليه.

- حسناً يا سيدتي، سأعلم «بات» بالأمر.

وأمسكت إيفيت بالقبعة التي كانت ترتديها سيلين ومدتها إلى باندیا.

- سيلين! يجب ان اتحدث إليك قبل سفري لدي أشياء هامة أقولها لك حول مراسيم الدفن وما دار بيني وبين زوجك من حديث...

لكن سيلين قاطعتها قائلة:

- كل ذلك لا يهمني الآن يا باندیا. إن وجودك في المنزل الآن يشكل خطراً علينا، فلا داعي للغوص في تفاصيل لن تجدي نفعاً.

وأحست سيلين بأنها جرحت شعور أختها فأضافت قائلة:

- إنني شاكرة لك يا باندیا كل ما قمت به من أجلي، لقد حان موعد عودتك إلى ليتل بارفورد، أخشى أن يعود زوجي فجأة. لم يشك أحد بأمرك أليس كذلك؟ هذا أهم ما في الأمر.

- لا لم يشك أحد بالأمر ولكن...

كانت باندیا تريد أن تعلم سيلين بأن اللورد سيلفستر قد يأتي

لزيارتها في وقت لاحق، كما كانت تريد أن تقول لها بأنه قدم إليها كتابه الجديد . لكن سيلين لم تسمح بذلك.

- رائع! رائع يا عزيزتي إلى اللقاء، إنني على يقين أنك لن ترفضي طلبي مرة أخرى.

وطبعت سيلين قبلة خاطفة على خد شقيقتها وتوجهت بسرعة نحو الحمام.

لم تعِ باندیا في بادىء الأمر معنى تصرفات سيلين، وفي هذه الأثناء اسدلت إيفيت الخمار الأسود فوق وجهها، بعد أن وضعت القبعة فوق رأسها، ففهمت أن كل شيء قد انتهى الآن. لقد انتهت مهمتي قالت في سرها. فأخذت محفظتها القديمة وفتحت إيفيت الباب أمامها وهمست في أذنها:

- حظاً سعيداً يا سيدتي . إنني أدعو الله أن يوفقك.
- شكراً يا إيفيت، قالت باندیا وهبطت السلم بسرعة.

لم يرافقها رئيس الخدم هذه المرة إلى الباب. وصعدت إلى العربة بعد أن نظرت إلى الحقائب الثلاث التي وضعت فوق سطحها وضحكت في سرها فقد كانت إيفيت في غاية اللطف معها. كانت تود أن تأخذ شقيقتها هذه المبادرة وتطلب من إيفيت الاهتمام بها ولكن أنانيتها العمياء وحبها لنفسها يمنعانها من إظهار أية عاطفة نحو باندیا.

لقد كانت تجربة رائعة، قالت باندیا في نفسها فيما كانت الجياد

تنطلق إلى ليتل بارفورد. تعرفت إلى اللورد سيلفستر وستحتفظ بهذه الذكرى حتى آخر يوم من حياتها، فاتت عليها فرصة الحياة، التقت بفارس أحلامها واضاعته في نفس الليلة.

- إنني أحبه... رددت باندیا محاولة إخفاء دموعها، وسأحبه مدى الحياة.

سارت الجياد إلى ليتل بارفورد فوصلتها دون أية صعوبة، فقد كانت الطرق سالكة تماماً بعد أن ذابت طبقة الثلج التي غطت الطرقات قبل يومين. وأحست باندیا بالفرح يغمر قلبها عندما توقفت العربة أمام منزلها في القرية. لقد انتهت المغامرة الجميلة التي عاشتها، عادت إلى ناني ولن يعكر صفو حياتها أي شيء بعد الآن.

ساعدها الخادم على الهبوط. ودخلت إلى منزلها، لم يكن الباب مقفلاً كالعادة. وفي بهو المنزل أطلت عليها ناني من باب المطبخ فصاحت قائلة:

- ها أنتِ أخيراً يا عزيزتي، خشيت ألا تعودي أبداً إلى القرية!

وقبلتها باندیا بحنان وأجابت:

- لقد عدت، فأنا لا أحتمل العيش بعيدة عنك! إنني بحاجة إلى بعض المال أعطيه للحوذي والخادم اللذين رافقاني.

وسارعت ناني إلى المطبخ وأحضرت بعض قطع النقود وناولتها لباندیا دون أن تظهر أية معارضة كما كانت تتوقع الفتاة.

www.elromancia.com

وأحضر الخادم والحوذي في هذه الأثناء الحقائب الثلاث التي أعطتها إيفيت لباندیا ووضعاها في باب المدخل الرئيسي.

- كنت أود أن أقدم لكما قدحاً من الشاي لكن الكونتيسة أصرت على عودتكما فوراً، فهي بحاجة إليكما هناك. قالت باندیا بعد أن مدت إليهما قطع النقود التي أعطتها إياها ناني.

- شكراً لك يا سيدتي.

وصعدا إلى العربة وانطلقا فوراً بعد أن ألقيا التحية على باندیا. وبسرعة خلعت هذه الأخيرة قبعة الأرامل التي كانت تضعها فوق رأسها وأزاحت الخمار الأسود الذي كانت تخفي وجهها وراءه وضمت ناني إلى صدرها:

- يبدو أن سيلين كانت في غاية السخاء معك! قالت ناني وهي تنظر إلى الحقائب التي جلبتها باندیا معها. ما الذي يوجد داخلها؟

- لست أدري، أجابت باندیا، لقد قامت خادمتها بترتيب هذه الحقائب، فأعطتني كل الأثواب التي لم تعد سيلين بحاجة إليها.

- لا شك أنك تشعرين بالجوع فالغداء جاهز سنتدبر أمر هذه الحقائب في ما بعد.

- لدي أشياء كثيرة أقصها عليك يا ناني، لنتناول طعام الغداء أولاً.

وتبعت باندیا ناني إلى المطبخ وجلست على طاولة الطعام قائلة:

- ساحدثك اولاً عن منزل سيلين في لندن، إنه منزل رائع مؤثث

بأثاث فخم ويشبه كثيراً المنازل التي كانت والدتي تحدثنا عنها وساحدثك أيضاً عن القصر.

- القصر؟ تعجبت ناني. أي قصر هذا؟

تذكرت باندیا أن ناني تجهل كل شيء عن سبب سفرها مع سيلين إلى لندن. فقد كانت الخادمة العجوز في غاية الدهاء ولاحظت دون شك قبعة الأرامل والخمار الذي كان يخفي وجه باندیا قبل سفرها وفور عودتها من الرحلة وفضلت باندیا أن تبوح لها بالحقيقة وتخبرها بأن سيلين طلبت منها الذهاب بدلاً عنها إلى مراسيم دفن إحدى الشخصيات. لكنها لم تخبرها عن السبب الرئيسي الذي دفع سيلين إلى التغيب في مثل هذه المناسبة وشرحت لناني بأن سيلين فضلت الذهاب إلى حفلة استقبال كبيرة في لندن على أن تحضر مراسيم دفن احد اقارب زوجها فطلبت من توأمتها الحلول مكانها في هذه المناسبة.

صدقت ناني حكاية باندیا وتابعتها بكل اهتمام، فقد كانت المربية تحب سيلين كثيراً وتفضلها على توأمتها رغم تصرفاتها النابية وهربها من منزل والديها بعد وفاة والدتها.

وصفت باندیا بالتفاصيل منزل سيلين والقصر وحدثتها عن المركز الهام الذي يشغله زوج سيلين داخل البلاط.

- لقد تعجب دون شك عندما رآك لاول مرة؟ قالت ناني.

- شرحت له سيلين أن هناك سبباً وجيهاً منعني من المجيء من قبل إلى لندن.

www.elromancia.com

- هل هي سعيدة بحياتها هناك؟ سألت ناني.

- إن الكونت يحبها كثيراً ، أجابت باندیا وأضافت محاولة تغيير موضوع الحديث، لنر ما تحتوي هذه الحقائب الآن يا ناني.

***

وفي اليوم التالي حاولت باندیا ترتيب الثياب التي أعطتها إياها سيلين في خزانة غرفتها، لكن ناني أصرت على الاحتفاظ بها في الحقائب نظراً لضيق الخزانة والغرفة.

- ليس لديك مكان متّسع لوضع كل هذه الأثواب في الخزانة، كما أنك لن تحتاجي إلى كل هذه الأمتعة في الوقت الحاضر. قالت لها ناني.

كانت باندیا تود أن تحتفظ بها قريبة منها فتتأملها وتجربها متى شاءت وتتخيل شقيقتها سيلين . لكن ناني كانت على حق فلا يعقل ارتداء مثل هذه الأثواب الفاخرة في المنزل أو حتى الخروج بها في القرية.

- ما الذي سيقوله أهالي القرية عندما يروني بهذه الثياب الجميلة؟ سألت باندیا ضاحكة.

- سيعتقدون أنك أصبحت حمقاء. أجابت ناني، أما قس القرية فسيذهب إلى ابعد من ذلك وستساوره أفكار غريبة حول مصدر هذه الأثواب.

وضحكتا معاً فقد كانتا تعرفان قس القرية جيداً وأفكاره الغريبة المبالغ فيها في معظم الأحيان.

جربت باندیا كل ما أعطته إياها إيفيت، القبعات المزينة بالريش وبذلات ركوب الخيل، وحتى قمصان النوم المطرزة فيما كانت ناني تتاملها بإعجاب.

- إنها ثياب جديدة! تعجبت ناني، كيف تخلت سيلين عن كل هذا؟

- إنها لا تلبس الثوب أكثر من مرة أو مرتين على الأكثر يا ناني، إنني سعيدة باقتناء كل هذه الأمتعة.

- أرجو أن تتذكرك دائماً يا باندیا، فأنت أحق الناس بكل هذا.

***

وفي اليوم التالي، أي يوم الأحد ذهبت باندیا كعادتها إلى الكنيسة، كانت تتخيل اللورد سيلفستر إلى جانبها في كل مرة كانت تركع فيها على الأرض لتصلي وشعرت حتى بالإشعاعات التي كانت تنبعث منه عندما كان يجلس إلى جانبها في مراسيم الدفن. صلت لأجله من كل قلبها ودعت الله أن يوفقه في رحلته القادمة التي سيقوم بها إلى المغرب، كما طلبت من الله أن يفكر بها اللورد سيلفستر من وقت لآخر كما لا تستطيع هي التوقف عن التفكير به.

كانت فرحتها كبيرة عندما بدأت قراءة كتابه المشوق، كل كلمة فيه كانت تذكرها باللورد، فساعدها على إثراء معلوماتها وتوسيع معرفتها.

قررت باندیا بعد الانتهاء من قراءة الكتاب إتمام كتاب والدها مهما كلف الأمر، فهي بحاجة ماسة إلى المال ولن يجديها نفعاً التفكير المستمر في حبها الضائع.

وفي اليوم التالي وبعد تناول طعام الإفطار قالت باندیا لناني:

- سأبدأ بالعمل يا ناني وسأتمّ الكتاب الذي بداه والدي.

- إنه خير عمل تقدمين عليه يا عزيزتي، أجابت المربية. ستلاقين بعض الصعوبات في بادىء الأمر وتسير الأمور إلى الأحسن رويداً رويداً.

- لن أدَع أعمال والدي غير كاملة، لقد كنت أساعده في كل شيء، ولابد أن أنجح في هذه المهمة.

- أما أنا فسأذهب إلى السوق، قالت ناني، إننا بحاجة إلى بعض الخضار وسأدعك تعملين قليلاً.

كانت باندیا قليلة الشهية منذ عودتها من لندن، شاردة الأفكار، قليلة الكلام وغريبة الطباع، لاحظت ناني كل هذه التغيرات ولم تجرؤ على مفاتحة الفتاة في هذا الموضوع، فكانت تعمل على تحضير أطيب المآكل علّها تثير شهية باندیا وتمسح عن وجهها سمات الكآبة والحزن التي كانت تبدو عليها. ظنت ناني في بادىء الأمر أن سيلين وراء هذه التغيرات وفكرت بمشاكل الفتاة المادية أيضاً التي تؤثر في شهيتها ومزاجها، لم يخطر ببالها لحظة واحدة أن يكون وراء هذه الكآبة والانطواء رجل يدعى اللورد سيلفستر.

فقد كانت باندیا تجلس في مكتب والدها ساعات طوالاً تفكر في فارس أحلامها، في نظراته المعجبة وجاذبيته الساحرة وكلماته الحلوة، فتحاول دون جدوى البدء في الكتابة لإتمام أعمال والدها لكن أفكارها كانت تقودها تلقائياً وبصورة لا شعورية إلى اللورد سيلفستر.

هاهي الآن تحاول التركيز على العمل منذ ساعتين، لم تكتب كلمة واحدة.

«إنني حقاً حمقاء! قالت بصوت عالٍ».

وسمعت وقع خطى في بهو المنزل «لقد عادت ناني من السوق» قالت في نفسها «لم أكتب كلمة واحدة ما الذي سأقوله لها».

وفتح باب المكتب وراءها ودون ان تلتفت قالت:

- لن أتناول طعام الغداء اليوم يا ناني فأنا لا أستحق ذلك، لم أكتب حتى كلمة واحدة.

- إنني آسف حقاً، أجابها صوت غريب.

ظنت باندیا للحظة أنها تحلم، فقفزت من مكانها واستدارت. كان اللورد سيلفستر واقفاً أمام الباب وقد بدا لها أكثر جاذبية وسحراً مما كان عليه قبل يومين.

ونظرت إليه الفتاة عاجزة عن الكلام. وحاولت استجماع قواها وسألت متلعثمة:

- كيف جئت إلى هنا؟

ـ لقد وجدتك أخيراً، قال، سألت عنك كثيراً، خشيت ألا أجدك أبداً.

ـ ولكن... كيف وجدتني، أرجو ألا تكون قد....

وتوقفت عن الكلام، لكنها تابعت بعد أن لزم اللورد الصمت:

ـ لا أصدق أن سيلين....

واقترب منها اللورد فماتت الكلمات على شفتيها، وتسمرت عيناها بعينيه، وخفق قلبها بسرعة وأخذها اللورد بين ذراعيه وضمها إلى صدره بكل حنان:

ـ كيف تحملت الابتعاد عني، قال لها، لم لم تقولي لي الحقيقة، لم خدعتني بهذه الطريقة؟

لم تجب باندیا، كانت تشعر بالسعادة تغمر قلبها فاختبأت بين ذراعيه وضمته إلى صدرها بشدة.

ـ لا يمكن لأية قوة في العالم أن تبعدني عنك بعد اليوم. قال اللورد.

وجلست باندیا على الأريكة مقابل المدفأة، فيما جلس اللورد إلى جانبها تاركاً ذراعيه تحيطان كتفيها.

ـ والآن، أخبرني كيف وجدتني؟ سألت باندیا بصوت خافت.

ـ لقد فقدت صوابي عندما تركتك في لينبورن هاوس برفقة الرجل الذي كنت أظن انه زوجك. أحسست أنني فقدت أثمن ما أملك في هذه الحياة. شعرت بأن حياتي فقدت كل معنى.

اختلج باندیا نفس الشعور يومها فضغطت برأسها على كتف اللورد الذي تابع قائلاً:

ـ ما الذي دعاك إلى الإقدام على مثل هذه الحماقة، فقمت بتقديم نفسك كسيلين؟ إن معظم الناس لا يفرقون بينك وبين توأمتك ولكن...

ـ كيف عرفت بأنني لست سيلين؟ سألت باندیا بسرعة.

ـ لقد شككت بأمرك عندما حاولت تقبيلك. كنت متيقناً أنه لم يسبق لأي شخص أن قبلك من قبل، كانت إمارات الرعب التي بدت عليك غريبة للغاية، ونظر إليها قبل ان يسأل:

ـ هل هذا صحيح؟

ـ أجل، تمتمت باندیا.

وتنهد اللورد بعمق وصاح قائلاً:

ـ لقد كنت متيقناً من ذلك، وعرفت انني لم أخطىء حول هذا الموضوع. لكنني كنت أجهل وجود توأمة للكونتيسة دي لينبورن فتركتك وحدك مع الكونت فيما كان الألم يعتصر قلبي، واختلجني شعور غريب بوجود سر خفي وراء كل ذلك.

ـ ولكن كيف؟ سألت باندیا.

ـ لقد كنت أقرأ كل أفكارك، قال ضاحكاً، أحسست بارتباكك عندما دخل الكونت علينا في الصالة، وقرأت الخوف في عينيك ولم يكن ذلك طبيعياً أبداً لم أفهم شيئاً في بادىء الأمر.

ولم يستطع اللورد سيلفستر من ردع نفسه من طرح السؤال على باندیا:

- ما الذي حصل تلك الليلة؟

احمرت وجنتا باندیا وأخفت وجهها وراء كتف اللورد:

- لم يحصل شيء على الإطلاق. قالت بصوت مرتعش.

فضمها إلى صدره بشدة، وطبع على جبينها قبلة عذبة وقال:

- إنني شديد الغيرة، أرجو أن تتفهمي ذلك بعد زواجنا.

- بعد زواجنا.. ؟ صاحت باندیا.

- أجل سنتزوج بعد تناول الغداء مباشرة. لقد مررت على الكنيسة قبل مجيئي إلى هنا:

- ما الذي تقوله؟ صاحت باندیا مرة ثانية. إنك تعرف جيداً أنني لا أستطيع أن أتزوج بك.

- لماذا؟

- لأن سيلين قالت لكل الناس إنني غير موجودة وإنني لاقيت حتفي.

- كل هذا لا يهمني، إنك حية ترزقين يا عزيزتي، وأريد أن أتزوجك مهما كلف الأمر.

- عليك أولاً أن تقص علي كل شيء، كيف عرفت الحقيقة؟

- كما قلت لك من قبل أمضيت كل نهار الجمعة برفقة الشخص

المسؤول عن نشر كتابي الجديد. بعد ذلك كان علي حضور دعوة للعشاء على شرف وزير الخارجية كنت قد التقيت به بعد عودتي إلى انكلترا ودعاني إلى العشاء.

- كانت سيلين موجودة في حفلة العشاء أليس كذلك؟ سألت باندیا بخوف.

- أجل، أجاب، لكنني عرفت أنها ليست انت منذ اللحظة الاولى التي رأيتها فيها.

- كيف ذلك؟ إننا نتشابه بشكل صارخ، لم يتمكن أحد من التفريق بيننا من قبل.

- أما أنا فقد استطعت.

نظرت إليه باندیا بتعجب فأضاف:

- إن نظراتك تختلف تماماً عن نظرات توأمتك، وتأكدت من ذلك عندما صافحت سيلين. إنك تملكين شيئاً مميزاً وإنني الشخص الوحيد الذي يستطيع معرفة هذا الشيء.

- هل تقصد الإشعاعات التي تنبعث مني؟

- طبعاً، أجاب اللورد، لقد شعرت بها عندما جلست إلى جانبك في الكنيسة.

وإنني أحس بها الآن. وتنهد ثم أضاف:

- عندما لامست يدي يد شقيقتك ونظرت إلى عينيها فهمت، شككت في أمر وجود شبيهة لها أو توأمة أو أي شيء آخر.

www.elromancia.com

- هل حدثت سيلين في هذا الموضوع؟ سألت باندیا بخوف!

- لا! طبعاً لا، أجاب اللورد، تحدثت إليها ببعض المواضيع التي تناقلتها معك لكنها استغربت كثيراً. تيقنت عندها أنها ليست أنت وفهمت السر الذي حاولت اخفاءه عني.

- ماذا فعلت بعدها؟

- كان ذلك بمنتهى البساطة.

- في منتهى البساطة؟ إنني لا أفهم قصدك.

- في اليوم التالي ذهبت لمقابلة الناشر الذي كان ينشر كتب والدك. واضطررت إلى اللحاق به إلى مركز إقامته في عطلة الأسبوع.

- هل كنت أكيداً من وجودي لهذه الدرجة؟ سألته باندیا.

- طبعاً وقد عرفت اسمك بعد أن فتشت في آخر كتاب كتبه والدك وقد أهداك إياه «إلى ابنتي باندیا». أكد لي كل ذلك الناشر الذي أعطاني عنوانك أيضاً.

- كيف حصلت على كل هذه المعلومات بهذه السرعة؟

- لقد كان ذلك أسهل بكثير من التنقيب والبحث عن المخطوطات القديمة.

ثم اردف قائلاً:

- سأساعدك يا عزيزتي على إتمام كتاب والدك، لقد تحدثت مع الناشر في هذا الموضوع وسيقوم بتسويق الكتاب كما يفعل تماماً بالنسبة إلى كتبي.

- إنك حقاً رائع، صاحت باندیا، سيصبح والدي مشهوراً ومعروفاً إذاً!

- طبعاً! أكد اللورد سيلفستر، لكن بانتظار ذلك عليك مرافقتي إلى المغرب لاتمام كتابي أولاً ونعود بعدها إلى لندن لكتابة الكتابين معاً.

- هل هذا يعني أنني سأصطحبك إلى المغرب؟

- أجل سنسافر في نهاية هذا الأسبوع، إنني لا أقوى على فراق زوجتي لحظة واحدة.

- هل ستتزوج فعلاً؟ سألت باندیا فرحة.

- بعد الغداء مباشرة، وأرجو أن تسمحي لي بالإقامة بضعة أيام في هذا المنزل.

- هل تريد أن تسكن معنا بعض الوقت؟

- أجل! لدي منزل بعيد عن لندن بعض الشيء، ولأسباب عديدة لا يمكننا الانتقال إلى هناك حالياً، كما أن لدينا أعمالاً كثيرة نقوم بها قبل سفرنا إلى المغرب الاسبوع المقبل.

- لا، لا هذا غير ممكن، أجابت باندیا، لا يمكنني الذهاب إلى لندن ولا يمكنني أن أتزوجك بسبب سيلين.

وبحركة من يده أجبر اللورد سيلفستر باندیا على النظر إليه وقال لها:

- اسمعيني جيداً يا عزيزتي الآن إنني أعرف كل شيء عن حياتك هنا فقد اخبرني ناشر كتب والدك عن احوالكم المادية.

www.elromancia.com

وتنهد اللورد بعمق وأردف قائلاً:

- كما حدثني الكونت بعد العشاء يوم الجمعة بأن أجدادك قاموا بتربية سيلين بعد أن فقدت كل أفراد عائلتها، ولم يستطع هؤلاء التخلي عن فتاة وحيدة ويتيمة رغم عدم رضاهم عن تصرف والدتك التي هربت من منزل أهلها للزواج من رجل فقير.

وشعرت باندیا بالارتباك، فأدارت رأسها نحو النافذة لكن اللورد أمسك بيدها وأضاف:

- إن باستطاعة سيلين التي اختلقت قصة وفاتك ووفاة اهلك أن تختلق قصة جديدة تعلن فيها أنك لحسن الحظ لا زلت على قيد الحياة.

- كيف لها أن تفعل ذلك دون أن تدمر حياتها؟ ثم إنك لا تعرف سيلين جيداً.

- إنني مستعد للقيام بعمل المستحيل من أجلك يا باندیا. وسأفكر بفكرة مناسبة لا تثير أية متاعب لسيلين.

وشعر اللورد سيلفستر بانزعاج باندیا وقلقها للأمر فأردف قائلاً:

- أرجو ألا تفكري في هذا الموضوع الآن، سأتدبر الأمر فور عودتنا من شهر العسل من المغرب.

- إن كل ما يهمني هو البقاء إلى جانبك، قالت باندیا، دون أن يتسبب ذلك في أية مشاكل لسيلين.

- إن هذا كل ما أحلم به يا عزيزتي، ثقي بي سنقيم بعد عودتنا من

المغرب في المنزل الذي ورثته عن الدوق الذي حضرت مراسيم دفنه.

- هل ورثت منزلاً عنه؟

- منزلاً كبيراً وقطعة من الأرض في ديفونشير بالقرب من البحر، إنها المكان الأمثل لإنهاء كتاب والدك قبل الانطلاق إلى مغامرات جديدة.

- أخشى الا نتمكن من تحقيق كل هذه الأحلام، قالت باندیا بحزن.

- سأتزوجك اليوم بعد الظهر، كما أنني لا أنوي إخفاء امر زواجي وسأجد الطريقة المناسبة لإنقاذ شرف سيلين، أعدك بذلك يا باندیا إنني اتفهم جيداً شعورك بالقلق من أجل توأمتك. أما أنا فإنني فخور بزواجي من أجمل فتاة على الأرض.

وضمها بشدة إلى صدره.

- سنعيش سعداء يا عزيزتي، إنني أحبك بكل جوارحي.

ونهض فجأة من مكانه وهو ينظر إلى الساعة:

- علي ان احلّ بعض المشاكل وأنهي بعض الأعمال مع قس الكنيسة. وسنتزوج في الساعة الثانية والنصف بعد الزوال.

وقفت باندیا وضمت اللورد سيلفستر إلى صدرها وقالت بصوت متهدج:

- إنني أحبك أيضاً. إن العمر كله لا يكفيني لأبرهن لك عن ذلك.

- سأدع لك قليلاً من الوقت لترتيب أمورك. البسي أجمل أثوابك،

وأرجو ألا تختفي مرة ثانية بعد عودتي، إنني لا أحتمل البعد عنك لحظة واحدة.

- سأكون بانتظارك، أجابت بفرح، فيما كان اللورد يغادر الغرفة. وسارعت باندیا إلى المطبخ لاعلام ناني بالأمر.

- ناني، ناني سأتزوج اليوم بعد الظهر، آه إنني سعيدة جداً، إنني أحلم.

ونظرت إليها المربية بدهشة وأجهشت بالبكاء قائلة:

- هذا كل ما أتمناه لك يا ابنتي. أتمنى لك كل السعادة.

- سأكون أسعد زوجة في العالم، إنه رجل رائع يا ناني، كوني مرتاحة من هذه الناحية.

ضمتها ناني إلى صدرها وبكت وهي تردد:

- شكراً لك يا رب.. شكراً لك.

***

كانت ناني شاهد الزواج الوحيد، تابعت مراسيم حفل الزفاف وهي تردد في سرها «فليوفقها الله».

ارتدت باندیا لهذه المناسبة أجمل الأثواب التي اعطتها إياها سيلين وزينت شعرها بزهور بيضاء وضعتها على شكل اكليل وأمسكت بيدها باقة من الزهور البيضاء العطرة أحضرها اللورد معه خصيصاً من لندن، وقد أثرت هذه البادرة كثيراً في باندیا فسألته قائلة:

- لقد كنت أكيداً إذاً انك ستتزوجني اليوم!

- طبعاً لقد كنت متأكداً أنك تحبينني بالقدر الذي أحبك!

- كيف عرفت ذلك؟

- لقد أحسست بذلك عندما تحدثت إليك في القصر وشعرت أنك وهبتني روحك كما لم تفعل ذلك أية امرأة من قبل، عرفت نساء كثيرات في حياتي من بلدان عديدة ونائية ولم أشعر بالبهجة والفرحة التي شعرت بها عندما رأيتك.

وقبلها بكل حنان وأضاف:

- عندما جلست إلى جانبك في الكنيسة شعرت أنني وجدت أخيراً الشخص الذي كنت أبحث عنه في كل رحلاتي وأسفاري.

- لنفرض أنني كنت متزوجة مثل سيلين، ما الذي كنت ستفعله؟

- أقوم بما قام به «باريس» في حرب طروادة عندما اختطف هيلين فتسبب بحرب ضروس لا نهاية لها.

وبعد انتهاء مراسيم حفل الزفاف أصر اللورد على أن تشاركهما ناني فرحتهما فقال لها:

- سنكون سعداء يا ناني فلا تقلقي للأمر أبداً وستبدلين نمط حياتك أنت أيضاً، لن ندعك وحيدة في هذا المنزل وهذه القرية النائية.

ونظرت إليه ناني نظرة متعجبة فأضاف:

- سنسافر إلى المغرب لقضاء شهر العسل، ستقفلين هذا المنزل هذه

www.elromancia.com

الأثناء وستذهبين إلى منزلي في ديفونشير ستجدين هناك كل وسائل الراحة بانتظار عودتنا من الرحلة.

- هل هذا صحيح؟ سألت ناني بصوت متهدج.

- أريدك أن تحضري غرفة الأطفال أيضاً وكل ما يحتاجون إليه من ثياب صوفية.

وبرقت عينا ناني بالفرحة فيما احمرت وجنتا باندیا خجلاً فأخفت وجهها وراء كتف زوجها وضحكت في سرها.

- إن ناني ستكون ساعدك الأيمن في المنزل يا باندیا وستعمل على تربية أطفالنا وتعيش معنا في ديفونشير هاوس فيما نعمل نحن الاثنين على اتمام الكتب التي بدأناها.

- إنني أحلم بزيارة كل المناطق والبلدان التي قرأت عنها وسمعت بها!

- سيكون ذلك في غاية السهولة. إنني مستعد لتحقيق كل أحلامك. وسنقوم بزيارة هذه البلدان معاً يا حبيبتي.

- إنني لا أكاد أصدق كل هذا الذي يحدث، أجابت باندیا، هل وجدتك حقاً؟ هل تحبني حقاً؟

- أرى أنك لا تثقين أبداً بي يا باندیا، وستبرهن لك الحياة صدق أقوالي. هذا كل ما يمكنني أن أقول لك. لقد جمعنا القدر وسحر الحب الحقيقي، إن أية قوة في العالم لا يمكنها إبعادنا عن بعضنا البعض.

- هذا ما كنت أتمنى سماعه منك. تمتمت باندیا.

وقبلها بكل حنان وأضاف:

- هيا بنا إلى الغرفة العليا علينا أن نرتاح قليلاً، إنها المرة الاولى والأخيرة التي نتزوج بها.

وضحكت باندیا وأمسكت بيد اللورد سيلفستر وصعدا إلى غرفة والديها حيث كانت ناني قد اشعلت الموقد وأعدت كل ما يلزم للعروسين.